القضاء والقدر

معجزات الرسول

إعجاز القرآن

مكانة المرأة في الإسلام

فضيلة الشيخ

محمد متولي الشعراوي

إعداد وتقديم: أحمد فراج

دار الشروق

اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد عبد الفتاح الغمراوى

الاسكندرية

القضـــــاء والقدر
ومعجزات الرسـول

القاهرة : ١٦ جواد حسنى ت ٥١٢١٤ برقيا . شروق القـــاهره
بيروت : ص . ب ٨٠٦٤ ت ٢٢٣٨٣٨ برقيـــا : دار شروق بيروت
جدة : ص . ب ٤١٤٦ ت ٢٦٦١٠ برقيا : شـــوركورب جدة

القضاء والقدر

- معجزات الرسول
- إعجاز القرآن
- مكانة المرأة فى الإسلام

فضيلة الشيخ :
محمد متولى الشعراوى
إعداد وتقديم :
أحمد فراج

الطبعـــة الأولى
يوليـــــو ١٩٧٥

الغـــلاف للفنان عبد السلام الشريف

بسم اللــه الرحمن الرحيم

دراسة تمهيدية

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، والصلاة والســـلام على سيدنا محمد خير الانام أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

وأشهد ألا اله الا الله وحـــده لاشريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير ، اعطى العالمين الخير كله برحمتـه محمد .. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء آية ١٠٧) وأكمل لنا ديننا واتم علينا بالاسلام النعمة والرضى « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة آية ٣) .

واختار اليه صفيه وحبيبه بعد ان بلغ الرســالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وترك فينا ما ان تمسكنا به لانضل بعده أبدا ، كتــاب الله ، ومثله معه « ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه » .

وبعد ، فهذا الكتاب الذى بين يديك كان فى الاصل مجموعة من الحلقات التى عرضت فى التليفزيون المصرى وكثير من محطات التليفزيون العربية من خلال برنامج نور على نور الذى أتشرف بانشاء موضوعاته واعداده ، كما أتشرف باختيار ضيوفه وتقديمه ، وتلقيت ــ ولا

ازال الوفا مؤلمه من الرغبات الملحة لاعداد النـدوات التى كان ضـــيفها العالم (المصرى) الجليــل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى الاستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة وجدة ٠

وقد وضعت صفة « المصرى » بين هلالين لأننى فى تقديم العالم الجليل ـ أوأى عالم سواه ـ لا أشـعل عاده بالانتماء الاقليمى الوطنى لاحد ، لان دائرة الاهتمام الاسلامية تتجاوز مادونها ، والذى دعانى الى ذلك اننى تلقيت أثر ظهور فضيلته اســتفسارت عديدة عن جنسيته ، مصرى هو ؟ أو ســعودى ؟ ووجــدت فى الاجابة تعريفا ٠ ثم تلقيت بعدها رسائل تطلب النص على ذكر جنسيته عند تقديمه ، ورأيت فى بعضها رغبة فى تأكيد أصالة« المصرية »وجذور انتماءاتها الاسلامية ، ورغبة فى أثبات حقيقة أن مصر قادرة دائما على العطاء٠٠ بالامكان ٠٠ وبانجـاب الرجـال ٠ ولكننى رأيت فى بعض الرسائل نبرة أخرى يبدو انها تجاوزت ـ بشىء كالعتاب ـ حدود الســعودية الى حرم جامعة الملك عبد العزيز ، فاذا بالاخ الصديق معالى الدكتور محمد عبده بمانى رئيس الجامعة يلقانى يوما فى جدة ، فبسمة كأنها معاتبة ، ويقول : أن بعض الاخوة فى مصر كتبوا الينا يقولون : لماذا تأخذون الشيخ الشعراوى عندكم ؟ نحن فى حاجة اليه بمصر ٠ وأضاف الدكتـور بمانى متسائلا : اليس هنا فى بلده ؟ ٠٠ ثم قال فى مداعبة رقيقة : لقد ذهب الأمام الشافعى الى مصر ، فما قلنا أنه بدأ هنا ثم أخذتموه منا أو حرمتمونا منه .

ومنذ اذاعه نور على نور مع فضيلة العالم الجليل حول الاسراء والمعراج فى محطات التليفزيون العربيــة ،

اقبلت تلك المحطات تريد كل حلقة معه ، بل وحرصت على أن تسجل معه مباشرة لقاءات وأحاديث عديدة ، وينقل فضيلته بنفسه بين الكويت والأردن وقطر والامارات ، وربما غيرها (١) ، وسط أمواج دافقة من الحب والتقدير له وفيوض من المشاعر نبضها الايمان بالله والشوق الى معرفة المزيد عن هذا الدين العظيم ٠ وهذه ظاهرة يسعد بها كل مؤمن ويشعر أن المسلمين بخير ما وجدوا سبيلا الى التعرف الصحيح على الاسلام ، ولكن هذه الظاهرة تبرز قضية على أكبر جانب من الاهمية ٠

وهذه القضية يمكن ان نلخص فى كلمات هى : الطرح العصرى للاسلام ٠

وقبل ان نتناول هذه القضية لابد من تصفية لبس يخالط « الشكل » فان خالطه أفسد « المضمون » ٠ ذلك ان وصف « العصرية » ينفصل ـ أو نفصل أحيانا ـ عن كلمة « الطرح » ويلتصق ـ أو يلصق أحيانا ـ بكلمة « الاسلام » فتتحول القضية من « الطرح العصرى » ، أى الاسلوب العصرى الحديث فى العرض »

---

(١) فى لقاء الوفد المصرى برئاسة الدكتور عبد العزيز حجازى ـ وكان رئيسا لمجلس الوزراء ـ مع سمو الامير صباح السالم امير دولة الكويت وقبل جلسة المحادثات . استشهد سموه ببعض عبارات اوردها الشيخ الشعراوى فى احدى الحلقات . كان ذلك فى قصر الامير بالكويت فى شهر ديسمبر ١٩٧٤ . وفى القاهرة ذكر لى معالى الشيخ عبد الرحمن العتيقى وزير المالية الكويتى ، ان الشيخ الشعراوى يعتبر اعظم هدية قدمها نور على نور الى العالم الاسلامى ٠

وتصبح « الاسلام العصرى » وهنا المزلق ـ وهو جد خطير ـ الذى يسقط فيه بعض الناس بحسن نية ، ويدفع آخرون الى السقوط فيه بخبث التدبر وسوء الطويه ، وعن تخطيط يراد به الكيد للاسلام والمسلمين .

والذى يتأمل الخريطة العقائدية للعالم (١)ويتاح له أن يضع الألوان والظلال فوق هذه الخريطة ، فسوف يجد على الفور انها كانت تتميز بلونين اساسيين هما اللون الاسلامي واللون المسيحى . بالاضافة الى لون ثالث يمكن ان نجعله للمناطق الوثنية .

فاذا عبر المتأمل لهذه الخريطة العقائدية للعالم ، نحو خمسين سنة من الزمان ، وأعاد تلوينها فسوف يلاحظ ان جانبا ضخما من اللون الذى كان ينتسب الى العقيدة المسيحية قد تحول الى لون جديد ، يسميه البعض وثنية جديدة ، ويسميه البعض الآخر بالالحاد ويسميه آخرون « العقيدة » ـ نعم ، العقيدة ـ الشيوعية . وأيا كانت تسميته ، فلا شك أنه كان يقتطع بالدرجة الاولى من اللون المسيحى ، الذى أصبح يتهدد بفقدان النضارة وتقلص السلطان على حياة الافراد والجماعات .

وأصبح اللون الوثنى أو الالحادى أو الشيوعى يزحف على الخريطة بالخطر . فهو أولا ، يهدد باجتياح اللون

---

(١) فكرة الخريطة العقائدية استوحيتها من حديث لى مع الفيلسوف العلامة الراحل الاستاذ مالك بن نبى وقد عرض لها أيضا فى احدى حلقات نور على نور .

المسيحى ـ بمزيد من الاستيلاءات أو الاحتواءات العقائدية الماركسية وأن كان الراجح انه لايستسعر حاجة ملحة الى تركيز الجهود ضد المسيحيه ، قدر تيقنه من ان الفوة الحقيقيه التى تعوق زحفه تكمن فى الاسلام .

وثانيا : يهدد اللون الاسلامى ، الذى صار معرضا ـ منذ كارثة القرم الاسلامية وماتلاها من سقوط معاقل أخرى للاسلام ـ لغزوات فكرية ضارية تستهدف القضاء على الاسلام ، وهى غزوات بل غارات متعددة المصادر والألوان .

وفى نفس الوقت الذى يتعرض فيه العالم الاسلامى لهجمة عقائدية الحادية يتعرض لحملات تبشيرية ينفق عليها بغير حساب ، ولبعض محاولات الابادة . اى أن الخطر الذى يستهدف الاسلام والمسلمين خطر مزدوج أو بالأحرى متعدد .

وقد نفهم مبررات الغزو الماركسى للعالم الاسلامى اذا اخذنا فى الاعتبار ـ بين مايراه البعض عند التحليل ـ الاصول اليهودية الصهيونية للفكر الماركسى ، ولكن الذى يستوقف النظر ، ضراوة الجهود التبشيرية من ناحية ، ومحاولات الابادة من ناحية اخرى الموجهة الى العالم الاسلامى . ولو أن هذه الجهود توجهت الى اللون الثالث فى الخريطة العقائدية ـ ويمثل المناطق الوثنية ـ وهى تضم الملايين ، لكان ذلك خيرا لقضية الدين فى مواجهة الالحاد ، ولانقذنا ارواح الآلآف من الضحايا الابرياء من مسلمى الفليبين مثلا .. الذين لن تعفى آلاف الدولارات التى تدفع الى بعض الصحف المنتسبة للاسلام ، على آثار الجريمة البشعة لابادتهم ، مهما نشر خلاف ذلك من

موضوعات ، من أسف اننا نضلل بها انفسنا ونشترى الضلالة بثمن بخس دراهم معدودة · ولم يعد خافيا أن نسبة لايستهان بها من طاقة التبشير في بعض البلاد الاسلامية ، التى رحبت بمساعده الكنيسة على نشر دعوة المسيح بين اتباعها من المسيحيين ، عوضا عن أن توجه الى هداية بعض المسيحيين الخارجين عن تعاليم المسيح ، وجهت الى أبناء المسلمين في محاولة للتنفير والتكفير بالاسلام ، ولقد تحدث معالى الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشئون الدينية في الجزائر في ملتقى الفكر الاسلامي السادس عن حالات رصدت في الجزائر وبعض بلاد المغرب الاسلامى وسجلت ضد مبشرين كانوا مأذونين بالنشاط لصالح المسيحيين فقال : لقد مسح طالب في قسنطينه دار به مبشر ، قلنا أنه يبشر اخوانه وينقذ اخوانه المسيحيين ، ولكنه عوض أن ينقذ اخوانه المسيحيين أصبح يبشر لدى المسلمين واستطاع أن يؤثر في حالة واحدة (١) .

ورغم خطر الغزو الفكرى أو التبشيرى المتعدد من الصهيونية والفاتيكان والاستعمار على العالم الاسلامى فلا تزال نسبة الداخلين الى الاسلام تتزايد كل يوم ، ولاتقبل المقارنة بحال مع نذر يسير من المارقين منه ، وان لم يكن ذلك مدعاة الى الركون لطمأنينة قد تصبح خداعة في مستقبل يخضع كل مافيه للتخطيط والعمل الدءوب ·

---

(١) راجع وثائق الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى ٢٤ يوليو ــ ١٠ اغسطس ١٩٧٢ المجلد الثالث ص ١٢٧ في كلمة السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشئون الدينية .

ازمة الانسان المعاصر :

ولكن هل هذه هى المشكلة ؟ أم أن المشكلة كما يرى البعض تكمن فى أن الانسان فى ظل الحضارة الغربية ، - حضارة الاشياء لاحضارة الانسان - قد اصبح يشعر أنه كلما زاد التقدم ووصل الى اشواط بالغة التعقيد فى أساليب الحياة ، كلما بدأ واضحا أن الدين يفقد مواقعه الواحد بعد الآخر وانه يتقهقر بانتظام — واحيانا بغير انتظام — ويخلى موقع الاله لآلهة جديدة ، أصبحت تتعدد اليوم بتعدد العقول والمناهج وطرائق التفكير والايديولوجيات او العقائديات الجديدة التى تنسب لعباقرة هذا الزمان الذين أعطوا لانفسهم — أو منحهم اتباعهم — القداسة ، مضافا اليها الاختصاصات المنزوعة من الاله .

لاشك أن الدين خسر مواقعه فى الشرق الملحد ، وان بقيت جذوره .

ولاشك أنه يزداد ضمورا فى ظل حضارة الغرب ، حضارة الاشياء .

وازاء الخسران والضمور والضياع ، ظهرت نتائج متباينة ، يهمنا هنا ما كان منها على جبهة الدين .

لقد كانت هناك محاولات بذلت — وتبذل — لانقاذ الدين فى الغرب من براثن الالحاد والرفض والتمرد ، ويجدربنا أن نسجل حولها الملاحظات التالية :

اولا : أن بعض هذه المحاولات يتجه مع الاسف اتجاها خاطئا بمحاولة القفز على العالم الاسلامى - عبر خط يمتد من روما الى الشرق الاقصى - أو الالتفاف حول العالم الاسلامى سواء اكان ذلك عن طريق الفليبين فى أقصى الشرق من مواقع الاسلام ، أو اريتريا ، أو غيرها .

وسواء اكان ذلك بالسلاح والارهاب والتقتيل ، أو بالدعاية والاعلام والتعليم والطرق الحديثة ، أو بالاستثمار الامثل لفقر شعوب المسلمين • وهذا الاتجاه يعبر عن رواسب الحقد من ناحية ، وعن اليأس من الحل، أكثر مما يعبر عن الحرص على حل مشكلة الانسان الاوربى ازاء الدين ، فيعمد الى تصدير البضاعة التى يراها راكدة ، الى أسواق خارجية يظن أنها تروج فيها ، بل يخطط لهذا الرواج •

ثانيا : أن بعض هذه المحاولات ينجه الى عقيدة الانسان فى الغرب ويحاول أن يدخل عليها نوعا من « التحديث » أو « العصرية » وهذا ما سنعود للتعليق عليه •

ثالثا : بعض هذه المحاولات يعلن انها تتجه الى محاولة الاقتراب من الاسلام وتحقق تعاون بين الاسلام والمسيحية لدرء خطر الالحاد وهو اتجاه ايجابى بناء يمكن لو خلصت النيات أن يقدم خيرا كثير لقضية الدين والايمان •

وسواء فى الشرق الملحد أو الغرب الذى يعانى أزمة بازاء الدين ، أو يعانى الدين فيه ازمة بازاء قناعات انسان حضارة العصر ، فان هذا الانسان اصبح يعيش ممزقا ـ عصر القلق • أو عصر « المراهنة الصناعية » كما ذكر ذلك العالم المصرى الدكتور رشدى فكار الاستاذ بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط وعضو اكاديمية العلوم بفرنسا • (١)

---

(١) جاء هذا الموضوع فى حوار لم ينشر بعد مع الدكتور رشدى فكار فى برنامج نور على نور الذى اذاعه التليفزيون العربى من القاهرة فى ٢٥ أبريل ١٩٧٥ والاصطلاح له ولفريق من العلماء •

وخلاصة القول فى « المراهنة » أن الانسان انطلق فى آفاق التقدم من اجل تسخير الصناعة ــ الآلة ــ لخدمته ورفاهينه ، واصبح لدينا نظامان رئيسيان ــ احدهما يسخر الانسان فيه من اجل المجتمع ، والاخر يستغل فيه المجتمع من أجل الانسان • وواقع الحال أن الانسان مسخر على الحالين ، أسير الالة والصناعة على الحالين .

وازاء خسران العقيدة فى الشرق وضمورها فى الغرب، يعيش انسان العصر انسان المعاناه ، عصر العبودية والقلق والتمزق والامراض النفسية والعصبية .

ولا يستطيع احد ان يجادل فى مستوى التقدم المادى ــ فضلا عن اسباب الرفاهية ــ الذى حققة الانسان فى ظل الحضارة الغربية ، بفرعيها الغربى والشرقى ــولكن احدا لا يستطيع أن يجادل ايضا فى حجم المشكلات التى يعانيها انسان تلك الحضارة وتباين نوعياتها ، ادمان الخمور والمخدرات والانحلال والفساد الاخلاقى وتفكك الروابط الاسرية وما يصاحب ذلك من الرفض والتمرد على الحضارة ذاتها والتمزق والشقاء النفسانى ، الذى يلفتنا انه يصل باصحابه الى أعلى نسبة فى الانتحار ، فى اكثر البلاد تقدما من ناحية مستويات الرفاهية المادية •

ولاينبغى أن نسقط من محاولات ايجاد الحل ــ بل ينبغى بالاحرى ان نبرز من بينها ــ تلك المحاولات التى اسنطاعت بها قلة ضئيلة ان ترفع عن بصائرها غشاوة الحضارة الشيئية وتكتشف الحل الحقيقى لمأساة الضمير الاوربى وحضارته ، وان كان الاكثرون لايعرفون حتى الان ان هذا الحل اسمه « الاسلام » .

ولكننا على اي حال نعود الى محاولات ادخـــــال التحديث أو العصرية التى أسرنا اليها منذ قليل فى الفقرة ثانيا ، وهو مابدأنا به هـــذه الدراسة التقديمية عندما اثرنا قضية الطرح العصرى للدين . فنجـــــد انه فى الغرب ، حدث خلط فى هذه القضية ، وربما كان هذا الخلط رد فعل لبعض الكتابات والدراسات التى ظهرت فى أوربا فى السنوات الاخيرة . وقد حدثنى الفيلسوف العلامة الراحل الاستاذ مالك بن نبى عن كتابين على سبيل المثال فى طبعتهما باللغة الفرنسية احدهما يحمل عنوان : ni Marx ni jesus « لا ماركس ولا المسيح » والثانى بعنوان deux mitles ans suffient الفاسنة كفاية » والاول يعبر كما هو واضح من عنوانه عن اعتقاد مؤلفه بعجز الماركسية والمسيحية عن علاج مشكلات العصر ، والثانى يعكس ــ كما ينبىء عنوانه ــ حالة التمرد على المسيحية اكتفاء بالف وتسعمائة وبضعة وسبعين عاما أو نحو الفى سنة . وكان راى الاســـتاذ مالك بن نبى رحمه الله أنعلاج أزمة الحضارة يكمن فىالاسلام وعطائه للحيــــاة ،» وأن أوربا فى طريقها اليه ــ مما يزبد من واجبات المسلمين اليوم ــ أو أنها تبحث عن دينجديد .

نقول أن التحديث أو العصرية ربما كانت فى جانب من جوانبها رد فعل لبعض تلك الدراسات ، اذ ظهرت فى مواجهتها ــ وربما قبلها ــ كتـــابات عن المسيحية المعاصرة أو « الحديثة » ولايدخل فى هدفنا أن نتناول هــذا الموضـــــوع ، ولكن الذى يعنينا منه أن بعض الدراســـــات الدينية ، وفى الاديان المقارنة على وجه الخصوص ، بدات أبحاثا لما أسموه أحيانا « الاســـلام اليوم » ثم سميت « الاسلام الحديث »

وتسرب الينا التعبير ، أو صدر الينا ، شأن ما صدر الينا عبر قرون التخلف والتبعية فى العالم الاسلامى ، من مشاكل الدين فى أوربا مع الناس والحياه ، بكل ما حملت من تناقضات واسقاطات .

وعلى سبيل المثال فان قضية الصراع بين الدين والعلم اذا طرحت فى اطارها التاريخى والجغرافى نجد انها صحيحة فىأوربا ، ولكننا اذا عرضناها من منظور اسلامى نجد عكسها تماما هو الصحيح . فان العلوم ازدهرت فى ظل الاسلام ازدهارا حقيقيا ، ولم ينشأ صراع او مواجهة فى الحياة الفكرية والثقافية والحضاريه بين العلم والدين الاسلامى ، ولكن فكرة التصادم بين العلم والدين انتقلت الى العالم الاسلامى مع ما انتقل اليه من آثار الحضارة ومشكلات الفكر الاوربى والتصادمات التى وقعت بين العلم والكنيسة هناك ، وهى تصادمات غريبة كل الغربة عن الاسلام .

ومكانةالعلم فى الاسلام لاتخفى على أى دارس مبتدىء يعرف قيمة العلم فى هذا الدين الذى كان أول وحى السماء فيه على رسوله « اقرأ باسم ربك الذى خلق » وكان اول قسم فيه بأداة العلم « ن والقلم وما يسطرون » .

واذن فقضية تحديث الدين بضاعه أجنبية مستورده . واذكر اننى استقبلت بمكتبى فى مبنى الاذاعة والتليفزيون بالقاهرة أستاذه جامعية اوربية كانت فى مصر لاجراء بعض البحوث فى مقارنة الأديان ، واقترح عليها بعض الأصدقاء زيارتى واختارت ان تتحدث فى احد الموضوعات التى تهمها وكان الموضوع يبدأ بالحديث عن « الاسلام

الحديث » Modern Islam وتوقفت .. وحرصت على تصحيح القضية ـ ابتداء ـ مع الاستاذة الجامعية .

فليس عندنا اسلامات متعددة ، أسلام قديم وآخـــر وسيط وثالث حديث ورابع تقدمي .. ولكنه «الاسلام» والمشكلة هي فقط ، ـ من وجهة نظرى ـ هى عصرية العرض أو الطرح العصرى للاسلام . وقالت الاستاذة اننى لســت أول شخص تقابله فى مصر وبستوقفها فى نفس القضية . واسعدنى الا أكون الأول فقد أحسست اننى لن اكون الأخير ، وان المسلمين بعرفون ان حاجة « الاســلام » ، تكمن فى اســلوب عرضه بلغة يفهمها شباب اليوم وابناء العصر . وليس المقصــود بحال هو تطويع مبادىء الاسلام لأوضاع العصر ، فأن هناك فرقا بين لغة العصروبين أوضاع العصر ، والمراد هو مخاطبة الناس باللغة التى يحســنون الفهم بهــا وبالاسلوب والطريقة التىتصل الى عقولهم وقلوبهم جميعا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

واذا كنا نؤمن اليوم أن الاسلام هو الحل وهو الطريق لعلاج مشكلات العصر ومشـــــكلات الانسان المعاصر وأزماته ، فــلا جــدال ـــ بحكم البديهة ـــ فى حــاجة المسلمين اليه من باب أولى ، واذا سلمنا بهذه الحاجة عند المسلمين ، فقد سلمنا فى نفس اللحظة بأنهم ليسوا فى غنية عن النعرف على الاسلام مبرءا من الشوائب ، واضح السراء ، بين العطاء ، جزيل الخير ، حتى يمكنهم من بعد أن يعرضوه على البشرية ، انقاذا لها من ادوائها ومعاناتها ، وبعد ـــ أو مع ـــ ان نكون قد أخذنا لأنفسنا من الاسلام ما يشير الى القدوة والنموذج الذى يمكن

احتذاؤه ، وان لم يكن ذلك حتميا ـ عند الاقتناع بالاسلام ـ كشرط لتبنى حلوله أو اعتناقه ·

وعند هذه النقطة نشعر بالازمة ولكن لاينبغى لهذا الشعور بها أن يطغى على ادراكنا الواعى بايجابيات ضخمة وكبيرة تتوافر فى الساحة ، بمعنى أن قيام الازمة فى ذاته لايسيغ الانصراف عن التقويم الموضوعى بعوامل السلب والايجاب معا ، الامر الذى يقتضينا فى النهاية أن ننطلق من الواقع الذى تدرك ابعاده ومشاكله الى المستقبل الذى نريد ان يكون · وهنا نطرح أمورا محددة هى اقرب الى رءوس الموضوعات ·

ان مناهج التعليم فى الدول الاسلامية تحتاج فى غالبيتها الى اعادة نظر · ودون الدخول فى تفصيلات فيها لسنا أهلا لها وليست محاولتها من شأن هذه الدراسة التقديمية ، فأن محصلة هذه المناهج يجب ان تنعكس على نوعيه الشباب المسلم المتعلم ، الذى نراه الان ـ بعد تحصيل تلك المناهج ـ أخلاطا غير متميزة الطابع والمقومات مما يشير الى طبيعة ومستوى البنية التعليمية التى يتشكل على وفقها شبابنا ·

وحتى مع الجوانب الايجابية من هذه المناهج نلمس انفصالا بين التكوين العقلى والتربية السلوكية المبنية على الدين والقدوة ·

وليس العلاج فى « كم » الدين الذى يعطى لأبنائنا ، ولا ينبغى أن يضيع الوقت حول هذا الكم بالزيادة أو النقصان ، فان اشاعة قيم الدين ومفاهيمه فى سائر العلوم أكثر فائدة من زيادة « مقررات » الدين « حصة » على « بطاقة » أو جدول كل طالب ·

والقدوة الحسنة من الأسرة والمدرسة هامه وخطيره، ولكنها تفقد كل اهميتها وخطورتها اذا لم نتكامل معهـا مصادر التوجيه والاشعاع والاقتداء الاخرى ، اى اذا لم يتكامل معها المسجد او الكنيسة والشارع،والصحيفة والمجلة والاذاعه والتليفزيون والمسرح والسينما والاداب والفنون ، بحيث تقدم جميعا معزوفه أخلاقيه منسجمة موحية ومربيه . فاذا تكامل بعضها وشذ بعضها الآخر، كأن يقتحم التليفزيون مثلا او المجلة حياه الأسرة بقيم غريبة نقوض ولا تبنى ، فلن تكون النتيجة مجـرد الهدم — وهو خطير — ولكنها تتجاوز الى تمييع القيم واهتزاز قيمة الثبوت فى التربية ، وتمزيق وجـدانات المتلقين وتشتتها ، الى تفصيل ليس هذا مجاله .

نحن فى حاجة الى تربية « المدرسة الأرقمية » التى كانت فى دار الارقم بن أبن الأرقم . نحن فى حاجه لا الى حشد الرءوس بقيم الأخلاق ، وانما الى اطلاقها فى سلوكنا اليومى لنقرن العلم بالعمل « كنا نتعلم العشر آيات بالعشر آيات وكنا لا نتجاوزهن ..حتى نحفظهن . ونعلمهن .

ونعمل بما فيهن .

فكنا نتعلم العلم والعمل جميعا » .

نحن فى حاجة الى بناء ثقافى جديد نؤكد فيه على اصالتنا _ وتفتحنا ولانستغل دعوى التجديد . فنجعلها شغلنا الذى لانشغل لنا سواه ، حتى لننسى شق القضية وهو الشق الاساسى فى الحقيقة . وهنـا أحب أن أستأنس بكلمات عميقة الدلاله ذكرها السيد الرئيس محمد أنور السادات فى وثيقة اكتوبر نعتقد أنها لا تزال فى حاجة الى التأكيد عليها

فقد قال « لايمكن أن تكون حصانتنا ازاء هذا الانفتاح والاتصال الامن داخلنا ، ولا يكون الحفاظ على هويتنا بالانكماش والجمود والضعف ، ولكن بدرجة التقدم التى نحرزها ، بالاسلوب السليم الذى يستمد حيويته من قدرتنا على التجديد ، وثباته من تمسكنا بالاصالة »

ونفهم من كلام الرئيس السادات أننا مدعوون لاكتشاف الذات ، مدعوون الى ارتياد الأفاق الرحبه لفكرنا وثقافتنا وحضارتنا ، مدعوون الى دراسة عطاء ديننا ومبادئه للحياة والتقدم ، فان وجدنا بغيتنا — ونحن لاشك واجدون — فذلك ماكنا نبغى ، وان لم نجد ، فاننا ننطلق — من توجيه ديننا وأصالتنا — بحثا عما ننشد ، والحكمة ضالة المؤمن ، انى وجدها فهو أحق الناس بها .

ولكن ، حين يعمد البعض الى تحويل الاصالة الى مجرد شعار ، ويلتفون من حوله أو حتى من تحته ويتجهون مباشرة الى « التجديد » دون أن يكلفوا أنفسهم عناء نظرة الى الكنوز المتوافرة فى عطاء الدين لعلهم يجدون فيه ما يستغنون به عن النظر الى الشرق أو الغرب ، فأن هذا المسلك تقويض لعلمية المنهج ، واهدار للأصالة ذاتها .

ويستوى فى هذا اهدار الاصالة او تجاهلها بدعوى التجديد ، واسقاط التجديد خوفا على الاصالة .

وأسوق هنا مثالا واحدا فى تأصيل القيم :

الكاتب الكبير الذى نكن له الاحترام والتقدير الاستاذ توفيق الحكيم يطرح قضية فى جريدة الاهرام المصرية (١)

---

(١) الاهرام ٨ مايو ١٩٧٥ .

جمل لها عنوانا هو « الفرق بين تقديم السمكة وصيد السمكه » ويتكلم عن ضرورة نقل التعليم من مرحلة الحفظ الى مرحلة الفكر . وهذه القضية محسومة كماهو معروف فى الفكر الاسلامى وفى التطبيق الاسلامى، فى آيات القرآن وفى احاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وفى عمل الصحابه وفى منهج المسلمين فى بناء الانسان وبناء المجتمع وبناء الحضارة . ولا يتسع المجال لسوق عشرات الامثلة والادلة . يقول الاستاذ الكبير توفيق الحكيم « هذه الثورة التعليمية التى تنقلنا من الحفظ الى الفكر هى التى تنقل حضارتنا من حضارة استهلاكية لمنتجات الحضارة الانتاجية التى يقوم بها غيرنا (١) ثم يتبع ذلك قول الكاتب الكبير « قال المثل الصينى المعروف : بدل أن تعطى احدا سمكه علمه كيف يصطاد السمك . لان اعطاءك السمك سيجعله دائما محتاجا اليك . اما تعليمه كيف يصطاد هو وينتج السمك ، فهو الذى يحرره دائما من اليد الى الغير » (٢) .

وهذا المثل الصينى المعروف الذى أورده اديبنا الكبير

---

(١) المفكر الجزائرى الفيلسوف الراحل الاستاذ مالك بن نبى له سلسلة من الدراسات الرائعة تحت عنوان مشكلات الحضارة أثار فى بعضها مشكلة « تكديس منتجات الحضارة بدلا من انتاجها » فى العالم الاسلامى نشرت فى الستينات واعيد طبعها ونشرها اكثر من مرة حتى السبعينات تستحق أن يحرص عليها كل قارىء .

(٢) لعل هناك خطأ مطبعيا والمقصود .. من أن يمد اليد الى الغير .

افاده الله اعترف اننى لم اكن أعرفه ، وهو مثل قيم يعبر عن الحكمه التى اشتهر بها شعب الصين العريق ٠ولكننى تذكرت كلمة قالها الملك الحسن الثانى ملك المغرب (١) عن بعض حكم زعماء الصين المعاصرين حين قال : « لو كان ماوتسى وتنج مسلما وعالما بالنظريات الاسلامية لما كان فى حاجة الى أن يرهق نفسه لابتكار البدهيات » .

تذكرت هذه الكلمة وانا اقرأ المثل الصينى« المعروف» ووجدته مع روعته قاصرا أشد القصور عن أن يبلغ شيئا من مستوى توجيه نبوى من محمد بن عبد الله ـ النبى الامى ـ عليه الصلاة والسلام ، مع أننا نجل رسولنا عليه الصلاة والسلام عن مقارنة كلامه أصلا بكلام كائن من كان ٠

ـ ففد رأى عليه الصلاة والسلام رجلا يسأل الناس الصدقه ، هذا الرجل له « حق » فى بيت مال المسلمين كان حريا به ان يأخذه ـ بل له فى الفكر الاسلامى ان يقاتل من أجله واذا قتل فهو شهيد ـ وكان يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتصدق عليه ، ففد كان

أجود الناس ، وحتى لو لم يكن مع رسول الله ما يتصدق به ـ على سبيل الافتراض ـ فقد كان أيسر اليسر ان يدعو من حوله الى التصدق على الرجل ٠ ولكن هل هذا يحل المشكلة ؟ بديهى انها تحل ، ولكنه حل مؤقت « سيجعله دائما محتاجا اليك » كما يقول المثل الصينى

---

(١) راجع خطب وتصريحات الملك الحسن الثانى عام ١٩٧٤ نشرتها وزارة الدولة المكلفة بالاعلام فى المغرب ١٩٧٥ صفحة ٤٩ .

المعروف • واذنفلا بد من حل آخر • وهذا الحل الاخر في المنل الصينى ، هو ان نعلم الرجـل كيف يصـطاد السمك • واذا كان الحل الصينى قد انتهى عند هذا الحد ، حد التعليم النظرى للصيد فمن الواضح انه لم يحل المشكلة بالصورة التى تصورها اديبنا الكبير • لاننا لو افترضنا أن الرجل نعلم كيفية صيد السمك ، فلن يزال فى « حاجة اليك » فمن اين له أدوات الصيد؟ ومن اين له المال الذى يشترى به ادوات الصـيد وهى هنا أدوات الانتاج ؟ وواضح ان الحل الصينى حل لا بأس به من الوجهة النظرية ولكنه يبقى على المشكلة قائمة •

وهنا نعود الى النبى الامى عليه الصلاة والسلام ونرى كيف حل مشكلة الرجل ، لقد سأله الرسـول عليـه الصلاة والسلام هل عندك شيء ؟ • هل نملك شيئا ؟ • اذن هو ينظر الى المشكلة لا من مظهرها الخارجي المتمثل في التسول أو السؤال ، وانما يبحث عن جـذورها • فقال الرجل عندى حلس (أى شيء من أمتعة البيت) ، فقال له أحضرها ، فلما احضرها بين يدى الرسول قال عليه الصلاة والسلام لمن حوله ، من يشترى هذا ؟• فقال أحدهم اشتريها بخمس ، فقال الرسول : من يزيد فزاد آخر فقال الرسـول : من يزيد •• فزاد آخـر فبيعت بخمسة عشر درهما • واذا بالرسول يأمره ان يقسمها قسمين ، ودعاه أن يشترى بأحدهما طعاما لاهله ، وان يذهب فيشترى بالقسم الآخر قدوما ، أى فأسا – أى أداة انتاج – وقال له اذهب واعمل ولا أرينك الا بعـد سـبعة (أيام) ، ففعل الرجـل •• وعرف الطريق الى الكسب •

وهذا الحل المحمدى صالح للتعميم على مشكلة كل فرد

فى نفس الظروف ، بل هو صالح للاخذ به على مستوى المجتمع والدولة ، فمصر مثلا نواجه مشكلة اقتصادية حاليا ، والسؤال أمامها : هل ننجه الى الانفاق على الاستهلاك لمواجهة منطلباته الملحة ، أم نضغط على نفسها بمزيد من الصبر والتضحيات لتوجه طاقاتها ومايتاح لها من موارد نحو الاستثمار فى الانتاج على حساب الاستهلاك السريع . ان الحل المحمدى لمشكلة الرجل يطرح اختيارا موضوعيا ومنطقيا للحل على مستوى الفرد كما يمكن أن يكون على مستوى الدولة فقد وجه الى مايلى :

١ ـ دراسة الموقف ونقويم الاصول (وهو مايملكه الرجل) .

٢ ـ دعوة اخوانه الى المساهمة أو المعاونة بطريقة كريمة فى زيادة قيمة هذه الاصول بشرائها فيما يشبه المزاد الخيرى .

٣ ـ توجيه جزء من عائد البيع الى مواجهة المشكلات الملحة ، وهى الحاجات الاستهلاكية العاجلة .

٤ ـ توجيه الجزء الآخر الى الاستثمار بشراء سلع رأسمالية (اداة أو ادوات الانتاج ، وهى فى المثال الذى معنا مجرد قدوم أو فأس يمكن فى حالات أخرى أن تكون اقامة مصانع أو العناية بالمراحل العليا فى الانتاج) .

٥ ـ عن طريق الاستثمار الرأسمالى يتم الانتاج ـ والتنمية ـ الذى هو الاساس الصحيح لحل المشكلة الاقتصادية .

٦ ـ ضرورة متابعة خطة الانتاج بعد فترة زمنية معقولة

وشاهدنا فى المثال الذى معنا ، ان الرسول طلب أن يرى الرجل بعد سبعه ايام لاعادة دراسه الموقف مع نفسه فى أن المشكلة في طريقها الى الحل .

وواضح أن الحل النبوى هو الحل العلمى لمن شاء ان يقارن . ولكن المقصود ليس المقارنة بقدر ما اردنا ان نبرز قضية الاصالة .

ونحن نعتقد أن التأصيل لحلول مشكلات العصر بمنهج « تجديدى » لا غضاضة فيه من حيث هو ، اذا كانت مناهجنا ومعطيات ديننا تخلو من مثله ، ولكن ، حين توجد الحلول عندنا وحين نضم مناهجنا ما هو أفضل من المثلية أو الحلول المماثلة ، فاننا نكون مقصرين بحجبها عن شبابنا وأمتنا .

ولا نزعم ان أديبنا الكبير يجهل هذه الواقعة ، حاشاه ، ولكننا نعتقد لفرط حبنا للاسلام وايماننا بمعطياته ، انه حتى لو تصورنا فائدة من سوق أمثلة وحكم اجنبية لاقناع القارىء ـ وهى فائدة محققة لاريب ـ فلا أقل من محاولة التأصيل للحلول بالاسلام المعطاء ، ولا يعجز عن ذلك أديبنا الكبير بل أن صدور ذلك من مثله ، من شأنه ان يعمق شعورنا بالاصالة ، فلا نهرع الى التجديد الا حينما يعوزنا عطاء الاصالة ، والا عمقنا الغربة عن الاسلام ، وأبعدنا فى المسيرة خارج سبله القويمة .

ومادمنا قد تناولنا مقدمة كلمة الاديب الكبير فلا بأس من تناول عجزها (بضم الجيم وكسر الزاى) ، حيث قال فى ختامها : « عرفت استاذا فى التعليم الثانوى منذ ستين عاما ، كان فلتة من الفلتات وكان عائدا لتوه من الخارج كان يقول : لا تأخذوا دروسى وأفكارى على أنها آراء منزلة صائبة دائما . بل عليكم أن تناقشوها وتفندوها وقد أكون مخطئا . وأكون سعيدا وناجحا اذا جئتم

بافكار مسعة نخالفني لان المهم ليس حشو رؤوسكم بمعلومات ستطير عدا . ولكن الاهم هو ان تحللوا افكارى وتتقدموا بافكار من عندكم تؤيدها أو تناقضها . المهم دائما هو ان يتحرك فكركم مع فكرى وعملكم مع عقلى الى ان قال : « أما المعلومات فأدلكم على المصادر والمراجع التى استقى منها لتراجعونى بأنفسكم والى الكتب والمراجع التى تخالفنى لتنظروا فيها كذلك » .. انتهى . ونرجو ان يعود القارىء الى وصف اديبنا الكبير لذلك المدرس الذى عرفه منذ ستين عاما بأنه كان « فلتة من الفلتات » ، وانه « كان عائدا لتوه من الخارج » .

ولانسوق فى التعليق الا كلمتين ، الاولى للامام مالك رضى الله عنه وأرضاه وكان يلقى دروسه فى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام غير بعيد من مثواه الشريف ، قال فيها لتلاميذه : « كل انسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذه الحجرة »وأشار الىحيث دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكلمة الثانية للامام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه حين كان ينهى تلاميذه عن تقليده ويقول لهم « خذوا العلم من حيث أخذنا (دعوة الى المصادر) ولا تقلدونى فى كل ما أقول » .

كان ذلك من ألف سنة .

وقد انتقل منهم هذا المنهج الى أوربا ، فانتشلها من عصور الظلام ، ومدنوها كما ذكر جوستاف لوبون عندما قال ان « العرب هم الذين مدنوا أوروبا » ، ثم عادت كلمات هذا المنهج مع مثل المدرس الذى كان فلتة وكان عائدا لتوه من الخارج .

ان اعتزاز المتلقين بكلمة تصدر من الاستاذ الكبير توفيق الحكيم ومن كل صاحب فكر وقلم أصيل ، يؤصل

فيها بالاسلام لقضايانا ، أمر يشارك فى تصحيح اقامة البناء الثقافى الذى ننشده .

نحن فى حاجة الى الوعى بالذات .

نحن فى حاجة الى اعادة كتابة تاريخنا من جديد ..

نحن فى حاجة الى تصحيح نظرتنا الى كثير من القيم والمفاهيم :

قيمه العلم وهو باب كل خير ، على أن يكون باسم الله .

قيمة الوقت ، وهو ليس من ذهب أو فضة ، ولكنه الحياة .

قيمة التخطيط والتنظيم ، وهو اساس النظرة المستقبلية « تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون » (١) .

قيمة العمل ، وهو أساس كل تقدم .

قيمه الواجب قبل الحق ، فاذا قل الواجب عن الحق أكلت الامة ماالديها وهلكت ، واذا تساوى الواجب مع الحق وقفت فىمكانها لاتتحرك الى أمام ، ولاأمل لها الاأن تحقق فائضا فى الواجب عن « الحق » تصنع به تقدمها وتبنى نموها والفائض فى الواجب هو فائض فى الانتاج (٢) .

---

(١) سورة يوسف آيات (٤٧ — ٤٩) .

(٢) راجع كتاب المسلم فى عالم الاقتصاد للاستاذ مالك بن نبى ص ١٠٣ وما بعدها .

قيمة الانسان ، وهو الركيزة لكل بناء ، فاذا سلم ، سلم معه بنيان الاسرة والمجتمع وبنيان الحضارة ، حضارة الانسان .

وقيمة الايمان بالله الواحد الاحد ، وبغير هذا الايمان ينهار الانسان « فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق » ويكون شقاء الحياة ودمار الحضارة (١) .

وباختصار ..

فالمسلمون بل والعالم كله ، فى حاجة الى الاسلام ، والمسلمون أشد حاجة الى حسن عرضه . صحيح ان تطبيقه في بلاد العروبة والاسلام ، لن يكون شرطا للاقناع به عند غير المسلمين الان ، لانه لم يكن رسالة السماء للعرب وحدهم ، وانما كان رسالة لكل البشر بل وللعالمين . ولكن اذا بقيت الحاجة الى تجربة الاسلام ، فانه قد جرب بالفعل ، وأعطى الانسان ، ثم أعطى المجتمع الفاضل في المدينة ، ثم اعطى الحضارة الاسلامية ذات المضمون الانسانى الايمانى الشامل ، ثم هو قادر الى اليوم ، لا على اضافة تكنولوجيا جديدة ، وانما على انقاذ التكنولوجيا القائمة من الدمار الذاتى ، وعلى انقاذ انسانها من المعاناة والشقاء ، وعلى أن يسكب فى ضمير الحياة ، التوزان الذى يعيد اليها رشدها ، التوازن فى الانسان بين جسمه وروحه ، التوازن بين المادة والروح،

---

(١) راجع فى تفصيل هذا المعنى حديث الدكتور المهدى بن عبود المفكر المغربى فى كتاب نور على نور الذى نشره الهلال عدد ٢٥٠ نوفمبر ١٩٧١ .

والتوازن بين الحقوق والواجبـــات ، بين الفرد والاسرة والرجل والمرأة والمجتمع والدولة ، التوازن حتى فى القيم فقد يكون الكرم هو نقطة التوازن بين الاسراف والبخل ؛ والشجاعة هى بين التهور والجبن ٠

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن عمرو مامعناه : ان لله عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا ٠ وعندما ذكر اصحابه بالقيامة يوما اهتزت قلوبهم واجتمع عدد منهم واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولايناموا على الفرش ولايأكلوا اللحم ولا يقربوا النساء والطيب ، ويرفضوا الدنيا ويسيحوا فى الارض ويترهبوا ، وبلغ ذلك النبى ٠ فجمعهم وقال : ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا ٠٠ فقالوا : بلى يارسول اللـــه ، وما اردنا الا الخـــير فقال : انى لم أومر بذلك فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا ، فانى أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وآكل الطعام ، ومن رغب عن سنتى فليس منى ، ثم خرج الى الناس وخطب فيهم فقال : مابال أقوام حرموا النســـاء والطعام والطيبات والنوم ؟ ٠ اما انى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهبانا ، فانه ليس فى دينى ترك ذلك ولا اتخاذ الصوامع ، وان سياحـــة أمتى الصوم ، ورهبانيتها الجهاد واعبدوا الله ولاتشركوا به شـــيئا ، وحجوا واعتمروا ، وأقيموا الصـــلاة وآتوا الزكاة وصـــوموا رمضـــان ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم ونزل فى ذلك القرآن « يأيهـــا الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لايحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به تؤمنون » ، (٨٧ ــ ٨٨ ــ المائدة) ٠

ولعل هذا هو اروع ما في الاســـلام ، النوازن ، أو التعادلية السوية ، فى ضوئها ينطلق الانسان السوى بالايمـــان والعلم والعمل ، عقله نور للشرع ، والشرع عصمة للعقل كما يقول الاصفهانى •

ثم نعود الى هذا الكتاب•• فنجده يقبس من ذلك الكتاب الذى لاريب فيه والذى نستضىء بنوره ، وهو يضـــم أربع حلقات تقوم فى جوهرها على نفس المنهج الذى يبرز عطاء الاسلام للانسان والحياة ويجسد موضوع الطرح العصرى للاسلام •

أولا : فى قضية عقلية شغلت البشر عبر قرون ، ولم يقدم فيها حل كالذى قدمه الاسلام • وعرضه بأســلوبه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى • وهى قضية القضاء والقدر ، وهل الانسان مســـير أم مخير ، ونرجو أن يكون فضيلته قد قدم جوابا شافيا فى هـــذه القضية ، نقول ذلك بعد رصد الاثار والانطباعات الرائعة اثر اذاعة « نور على نور » فى هذا الموضوع •

وثانيا : فى قضية المعجزات الكونية ــ أو بعضها ــ التى صاحبت ميلاد محمد عليه الصــلاة والســـلام أو صاحبته رسولا فيما بعد ، وحين شرح فضــــيلته بعض تلك المعجزات وقضية الانســـجام بين سائر المخلوقات وفرحة الكون بمبلاد من سبعيد الانســـجام بين عناصر الكون ومخلوقات الخالق ، فقد حقق فى الواقع انسجاما رائعا بين النظرة العقلانية العلمية والنظرة الوجدانيـــة النفسانية ، فى بوتقة ايمانية واحدة •

وثالثا فى قضية اعجاز القرآن البيانى ، واعجازه حين يعجز اللسان عن استيعاب البيان ، فيطرح أولا نماذج وأمثلة بعرض وتذوق رفيع غير مسبوق ، فيمـا أعلم ،

هو أروع من الروعة ، ويشرح مثلا قتل الاولاد من املاق وخشية املاق ، ويعالج تناول القرآن للسـمع بالمفرد والأبصار بالجمع ، والمرضع والمرضعة ، وأمثلة أخرى كثيرة بعضها أروع من بعض ، ثم يعرض قضـية المنهج حين لا تكون العربية اللسان •

ورابعا : فى قضية هى شغل الناس فى زمان الناس هذا ـ وأحسب فى كل زمان ـ وهى قضية المرأة •

ولست أنوى أن اقول فى هذه القضية أو غيرهـا شيئا ، بحسبى ما أرجوه للقارىء مع مايلى،من لقاءات مفصله مع فضيلة العالم الجليل الشيخ محمـد متولى الشعراوى حول تلك الموضوعات ، وانما احببت أن أقدم بين يدى تلك اللقاءات بموضوع رجوت أن ينـال الاهتمام ، وخاصة ممن يتصدون لعرض الاسلام ،، نعم ان الاسلام يعرض نفسه ، ولكننا فى حاجة الى أفضل استثمار لطاقاتنا الروحية والنفسية والذهنية والمادية ، لطرح عطائه لخير المسلمين ولصالح المؤمنين ولنفـع البشرية الظامئة الى عالم يتحقق فيه لكل انسان الامان والامن •• أمان على لقمة العيش وحق العمل والتكافل الاجتماعى •

وأمن يطمئن فيه على حقوقه فى الحياة والحـرية والزواج والمسكن والتعليم والكرامة الانسانية والمساواة وسائر الحقوق التى لم يكتف الاسلام بالنص عليها ، وانما كفلها وضمنها واقتضى لها واجبانها ، ليبقى هـو الحل الذى يقضى على اغتراب المسلم فى عالمه بل ويقضى على اغتراب « الانسـان » فى عالم العصر •• وكل العصور •

وما لم تتكامل الامكانيات والجهود عـلى المستويين

المحلى والاسلامى لخدمة الدعوة الاسلامية ، ولنزكية حركتها ، ولترشيد اساليب طرحها على المسلمين وغيرهم ، فان النتائج القريبة لن تكون فى صالحنا .. سوف تزداد الحملات المضاده للدين من قوى الالحاد والشرك . ولسوف يزداد تشبث اتباع الدين بالدين ، ذلك حق ، ولكننا نريد ان يكون ذلك وعيا بجوهر الدين ومبادئه ودوره ، وليس مجرد ردة فعل . والا ، ففى غيبة الوعى الصحيح بالدين ، يفرخ التعصب الاعمى ، والتضليل ، والاستغلال ، والتواكل ... وسلبيات اخرى كثيرة تشوه اصحابها وتسيىء الى الصورة الصحيحة للدين ذاته .

وفى مجال المسئولية ، لا ينبغى ان يجامل احد احدا ، فكلنا مسئول ، كلم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. ولكننا نعتقد مسئولية خاصة على علماء الاسلام ، نؤمن حين يقومون بأمانتها — وفى مقدمة ذلك حسن طرح الدين طرحا عصريا — اننا سنصل الى بر الامن والامان .. بر الايمان ، حيث تسود مثل الحق والحب والخير والرحمة والجمال والسلام ، فى عالم — رغم تقدمه المادى — هو أحوج ما يكون الى هذه القيم ، التى تجد مصدرها الحقيقى والعملى مع سائر القيم والمثل الايجابية ، فى لفظة واحدة هى .. الاسلام .

ومصر كانت ، وستبقى دائما باذن الله ، قلعة العروبة وحصن الايمان ، نعتز بالاسلام ، ويعز الله بها الاسلام .

احمد فراج

القضاء والقدر

بســـــم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ أحمد فراج

لقاء عزيز مع فضيله الأستاذ الجليل الشـــــيخ محمد متولى الشعراوى ، بعد أن سعدنا باللقاء معه من قبل فى كتاب « الاسراء والمعراج » والحقيقة أن هذه الفرصة التى تسنح لنا بهذا الحوار الذى نعتز به مع فضيلته قد تكون مفيدة لكى نطرح عليه عددا من الموضوعات طالما تلقيناها فى أسئلة كتيرة وطالما عنتلكثير منا ، وطالما راودت بعضهذه الاسئلةكثيرا من العقول والاذهان ، وخاصة بالنسبة للشباب وحتى لغير الشباب ، نقصد بهذا موضوع القضاء والقدر ، والسؤال القديم هـل الانســان مسير آم مخير ،

موضـــوع الجبر والاختيار ، وتلك الأسئلة الكثيره التى تدور حول هذه القضـــايا ، ربما نجـــد بعض الناس ، وخاصة الشباب ــ وحتى غير الشباب كما نذكر ــ يقولون ان كل انسان يخلق ، يكون فى علم الله سبحانه وتعالى ماإذا كان من أهل الجنة أو من أهل النار ، فاذا كان من أهل الجنه ، فمهما عمل لن يغير ذلك من مصيره شيئا ، واذا كان من أهل النار فلن يجديه نفعا أى شىء يعمله لكى يغير من هـــذا المصير الذى هو فى علم الله ، ويقال : الله خلقنـــا وخلق أفعالنا ، فلماذا يحاسبنا على الأفعال الشريرة التى نعملها طالما أنه هو الذى خلقهـــا ، هذه بعض الأسئلة التى تخطر على بال كثير منا وأحيانا نطوى عليها جوانحنا ، وبعض الشباب يتحرج من طرحها وربما يجد فى نفسه الشجاعة ويسأل فى المدرســـة ، وقد ينهره المدرس ، ويقول له حرام أن تسأل فى هذا الموضوع ، فبعضنا يشعر فى بعض الاوقات أن هناك أســـئلة يدخل طرحها فى مناطق من التأثم ، يأثم الانسان ليس فى مجرد النطق بها بل اذا فكر فيها ، ويشعر حينئذ انه يكتم نـــيئا يثقل نفسه ويرهق

فكره ، لكن مثل هــذه الأمــور فى الواقع يجب أن تناقش فى وقت من الأوقات .

لقد خلق الله لنا عقولنا ، فاذا اهتدى العقـــل الى الله ، فيكون بفضل الله ، واذا لم يهتد ، فالله سبحانه وتعالى كان قادرا على أن يهديه ، فاذا لم يهده فلماذا يحاسبه ؟ أنا أريد أن أهتدى الى الله ، وان التزم بطاعة الله فى كل صغيرة وكبيرة ، فاذا لم أستطع ، فلم يحاسبنى وهو قادر على أن يعيننى فيهدينى .. الى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة التى لاشك أنها راودتنا أو راودت بعضنا أو تراود بعضنا الى الان أو تراود شبابنا دائما بصفة خاصة .

وحين تتاح هذه الفرصة لنشر هذا الحوار مــع فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى حول هذه الامور فان القارىء الذى عرف فضيلته فى بحثه للأمور والقضايا يعرف منهجه المقنع السلس الذى يصدر من القلب والعقل معا ، فيستريح له القلب ، كما يأنس له العقل .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

أحمدك ربى وأستعينك واستلهمك وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد وبعد ، فان الاسئلة التى أدار الاستاذ أحمد بعضا منها تدور حول فكرة كثيرا ما نسمعها من الشباب ومن غيرهم وفى شتى الاديان ، ومن الانصاف أن نقول ، ان الاسلام هو المنهج الوحيد أو الدين الوحيد الذى استطاع بوضوح أن يضع النقط على الحروف فى هذه المسألة ليقنع القلب والعقل والوجدان ، وليس ذلك نقصا فى الديانات السابقة ، ولكن النقص نشأ من أن مناهج الديانات السابقة لم تصلنا كما أنزلها الله على رسله ، فذاك ليس عيبا فى الدين وانما عيب فى نقلة ذلك الدين ، ونحن نقرأ فى القرآن أمورا لا نجدها حيث أخبر بها القرآن وهو أصدق الحديث .

موضوع الانسان مسير أم مخير ، مجبر أم مختار ، يثير فى الذهن ابتداء سؤالا هو : كيف تنشأ المشكلة ؟ اذا قلت مثلا أنا والله لا أستطيع أن أحكم

على فلان أهو كريم أم بخيل ؟ لا تنشأ هذه المشكلة فى الحكم الا اذا رأيت له بعض التصرفات كان فيها كريما وبعض التصرفات الاخرى كان فيها بخيلا ، فترددت فى المساءلة ، أهو كريم أم بخيل ؟ لو أن كل التصرفات التى أخذتها عليه كرم ، ما نشأ شق السؤال : أم هو بخيل ؟ ولو كانت كل التصرفات بخلا ما نشأ أم هو كريم . على هذا النمط ، السؤال .. الانسان مسير أم مخير ؟ لو كان فى ظاهر الحياة .. ان الانسان يرى نفسه مجبرا على كل أعماله ، لما نشأت فكرة : أهو مخير ، ولو أنه مخير فى كل أعماله لما نشأت فكرة : أهو مسير ؟ اذا فالانسان يجد أفعالا كثيرة تحدث فيه بدون اختيار منه ، فيرى أنه مادام لم يوجد له اختيار فهو مسير فيها ، وأشياء كثيرة تقع على حسب ما قدر واختار ، يريد أن يلبس بدلة لونها كذا ، يريد أن يأكل طعاما شكله كذا ، يريد أن يتعلم فى مدرسة كذا ، يريد ان يعمل كذا ، فتقع الامور كما يقرر أو قريبا مما يقرر ، اذا فهناك أمور للاختيار دخل فيها ، وأمور ليس للاختيار دخل فيها ومن هنا نشأت المشكلة .

ما الانســـــــان •• ؟

هذا الانسان الذى نريد أن نعــرف : مسير هو أم مخير ، لابد أن نعرف حقيقة هذا المحكوم عليه ، ما هو الانسان أولا ؟ الانســـان كائن من الكائنات الموجودة فى الارض ، وليس الجنس الوحيد فيها ، بل هناك أجناس أخرى تشاركه فى الوجود ، ولكن بالاستقراء وجدنا أن الانسان أرقى هذه الاجناس ، وكل الاجناس فى خدمته ، أقرب الاجناس اليه من جهة الدنو والمدركة بالحس هى الحيوانات ، وتحت الحيوانات النباتات ، وتحت النباتات الجماد ، اذا فالاجناس الموجودة •• جمادات ، ونباتات ، وحيوان وانسان •

بماذا امتاز النبات عن الجماد ؟ له جرم ولــه حيز مثل الجماد تماما ، الا أنه امتاز عنه بالنمو ، صار جنسا برأسه ، والحيوان امتاز عن النبـــات بشىء من الحس والحركة ، بماذا امتاز الانسان عن الحيوان ؟ بالفكر ، وما معنى الفكر فى الانســـان ؟

الفكر معناه المقياس الذى يختار بين البديلات ، والامر الذى لابديل فيه ، لاعمل لعقلك فيه . وهنا يمكن أن نطرح قضية : عمل العقل ، رأيت بعقلك رأيا أو عملا تستطيع أن تعمله أو تتركه ، واذا طرحنا القضية بهذه الصيغة ، فقد طرحنا معها فى ذات الوقت قضية « البديل » تفعل أو لاتفعل ، ومادام هناك بديل ، فعقلك يرجح ويختار ، فالامور التى لابديل لها ، لا عمل للعقل فيها أبدا ، اذا الانسان رغم كونه أعلى الاجناس ، ففيه حيوانية ، وفيه نباتية وفيه جمادية . فما فى الانسان من قدر الجمادية وما فيه من قدر النباتية ، وما فيه من قدر الحيوانية ، فهو مسير فيه كالجماد وكالنبات وكالحيوان ، واذا تصورنا ان انسانا يستطيع أن يرفع نفسه عن الارض الى أعلا ، فسوف يسقط بعد ذلك كقطعة الحجر ، لان قانون الجماد يتحكم فيه وقانون الجاذبية يحكمه ويشده الى أسفل ، وأيضا فهو ينمو ولا دخل له فى ذلك النمو وليس له عمل فيه ، كذلك فهو يحس ويتحرك وليس له عمل فى الاحساس ولا فى الحركة ولا ادارة دواليب

جسمه وأجهزته ولا دخل له فيها أبدا ، ولا يعرف كيف تدور الدورة الدموية ولا يعرف كيف تصنع الرئة فعلها .. ولا الجهاز البولى ولا الجهاز التناسلى ولا أى جهاز ، ولا الجهاز الهضمى لايعرف الانسان تنيئا من هذا أو بمعنى آخر هو لا ارادة له فيها ولا يصنعها . اذا فما فيه من الحيوانية أيضا هو مسخر فيه كالحيوان تماما ، ولا اختيار له فى شىء .

وأرجو ان أدعو كل فرد لان يرى نفسه فى هذه القضية وسوف أحاول ان أرى نفسى معه فيها .. ان من رحمة الله أنه جعلنى مسيرا فى ذلك كله ، فان ادارة أجهزة جسمى كانت ستؤجل الى أن يصير لى عقل ، فأعرف كيف أشغل أجهزة الجسم ، فمن رحمة الله بى أنه جعلنى مسيرا ولا عمل لى فى هذه المسألة البتة ، لانها تؤدى مهمتها وأنا نائم ، فاذا كان لى اختيار ، فمن يديرها لى وأنا نائم ؟ اذا فما فى الانسان من جمادية ونباتية وحيوانية مسير كهذه الاجناس تماما ولا اختيار له فى شىء .. والسؤال

الذى يرد هنا هو متى تنفصل فيه ؟ والجـواب فى الخاصية التى تجعله انسانا وهى العقل والفكر ·· اذا ففى المنطقة التى يعرض فيها الفعل على العقل ، يفعل أو لا يفعل · فتلك هى المنطقة التى يوجد فيها الاختيار ، وهى منطقة التكليف من الله ، ولذلك فان فاقد هذه لا يكلف من الله ، لماذا لا يكلف المجنون ؟ لانه فقد أداة الاختيار بين البديلات ·· والذى لم ينضج عقله بعد ·· لم يكلف أيضا ، لانه لم يصبح أهلا للحكم على الاشياء · اذا فربط التكليف بالعقل وجودا ونضوجا ، يدل على على أن مهمة التكليف هى فى الامر الاختيارى الذى يجد الانسان فيـه بديلا ·· يفعل أو ·· لا يفعل ·· ولو أن الانسان لم يكن مخيرا لاستوى أن يكلف المجنون وغير ناضج العقل ، اذا مادام قصر التكليف على العـاقل ·· والعاقل الذى نضج عقله ·· أى الذى بلغ سـن الرشد ، فما دام التكليف منصـبا عليه ، فيـكون التكليف هو فى منطقة الاختيار ، ومنطقة الاختيـار هذه هى التمييز ، اذا فالذى يقول أن الانسـان على اطلاقه مسير ، يكون مخطئا ، أو يقـول ان

الانسان على اطلاقه مخير يكون مخطئا ‥ ونقول له حلل الانسان الى عناصره فستجد فيه جمادية ‥ وفيه نباتية وفيه حيوانية ، فما فيه من هذه الاشياء هو مسير فيها ‥ ولا اختيار له فيها ، ومافيه من منطقة الاختيار بين البديلات بواسطة العقل ففيها تكون منطقة الاختيار ، تفعل هذا ، ولا تفعل هذا .

هنا نجد أن الدين حينما أراد أن يتعرض لهذه المسألة فقد تناولها فيما أفهم على أساس أن جعل لله وصفين ، الوصف الاول ‥ أنه هو الخالق وهو الفعال لكل شيء ، هذه واحدة ، والثانية ‥ أنه عدل . ولا ينبغي لاحد أن يأخذ صفة على حساب صفة . فالذى يقول ان الله هو الذى يفعل للانسان كل شيء ، فهو يريد أن يحقق لله صفة الخلق لكل شيء وبعد ذلك يحله عن صفة العدل ، فمادام هو الذى فعل كل شيء ، فلماذا يعذبنى حينما أعصاه ؟ فنجد مسألة العدل هذه ستنتهى ، وآخر يريد أن يحقق فكرة العدل لله فنجده يجعل للانسان فعل كل شيء .

ونحن نقول للاثنين •• لا ، فأنتمـــا على خطأ ، فلابد أن تأخذ كل صفة سبيلها ، فهو خالق لكل شيء نعم ، ولكنه عدل أيضا ، وكلمة عدل تتطلب منا أن نفهم أن الله لم يكلفنا الا بما خلقنا صالحين لفعله وصالحين لعدم فعله فيوجه لنا الوجهـــة ، والادلة صالحة ان تفعل •• أو •• لا تفعل •

فأنا مثلا حينما أرجح طريقا على طريقه لا يقال خلقت الفعل ، وانما وجهت الطاقة المخلـــوقة الله ، بالعقل المخلوق لله ، للمادة المخلوقة لله ، فأنا ليس لى فعل ، وانما أنا وجهت الادوات الفاعلة فقط ، ومادمت أنا الذى وجهت فالفعل ليس منى وانمـــــا التوجه فقط للفعل منى أنا ، فاذا الانسان المؤمن يقول •• الله يفعل كل شيء •• نعم هو يفعل كل شيء ولكنه مع ذلك عدل ، نأتى هنا ونقول ما مهمة الرسل اذا ؟ ان مهمة الرسل هى أن ترسم منهـــج الله لتقول لك افعل كذا •• أو لا تفعل كذا ، الله لا يقول لك افعل كذا ، ولا تفعــــل كذا الا اذا كان خلقك صالحا لئلا تفعل أو تفعل ، فعندما يقـــول :

افعل هذا فلابد أن يكون قد حلقنى صالحا لان افعله وان لا أفعله ، ولو كان قد خلقنى صالحا لان أفعل فقط لما قال لى : لا تفعل ، ولو كان قد خلقنى صالحا لئلا أفعل ، لما قال لى افعل ، فاذا لابد ان يكون قد خلقنى فى هذا الامر الناضج ، الاختيار بين البديلات الامر العقلى وأنا صالح لان افعل هذا ، ولان أفعل هذا : هنا نجد أن هدايات الرسل تأتى لها معنى وهى الدلالة ، هداية بمعنى الدلالة ، وما معانى الدلالة ؟ أنت تهدى انسانا الى شىء ، أى تدله على طـريق الخير ، مثلا هناك فرق بين هداية تدل ، وهداية تعين وتحمل ، هداية تدل ، هذا قدر مشترك حتى مـع الكفار فالحق سبحانه وتعالى يقول « وأما ثمـود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبـون »(١) لو أخذنا .. «فهديناهم» على المعنى العام ، نجد أن الله تعالى يقول بعدها مباشرة « فاستحبوا العمى على الهدى » فكلمة هديناهم هنا ليست بمعنى حملناهم

---

(١) آية رقم ١٧ سورة فصلت .

على أن يكونوا مهديين ولكن هديناهم هنا .. أى دللناهم على الطريق الموصل للخير ، فهل استمعوا أم لم يستمعوا ؟ لم يستمعوا ، اذا فوردت الهداية فى القرآن بمعنى الدلالة على الطريق الموصل للخير ووردت أيضا بمعنى آخر وهو التمكين من فعل الخير والمعونة على فعل الخير . كيف هذا ؟ نقول مثلا .. ولله المثل الاعلى ، أنا أمضى فى الطريق ، وأريد آن أذهب الى رأس البر مثلا وأنا لا أعرف الطريق الموصل اليها ، فجاء جندى المرور وقال لى « هذا هو الطريق المؤدى الى رأس البر » فدلنى على الطريق بكلامه . اذا أنا انصعت له وشكرته ، وبعد ذلك اتجهت لأسير فيه فأجده يقول لى « اسمع ، هذا الطريق فيه عقبة فى مكان كذا ويصح أن تعمل كدا حتى تنتهى منه » أى يرشدنى الى شىء فى الطريق ، والثانية أنه قد يطلب منى أن يذهب معى حتى يخلصنى من هذه العقبة ، فاذا هناك هدايتان ، هداية دلت على الطريق فقط ، وهداية أعانت على أن تسلك الطريق ، أعان جندى المرور من الذى انصاع له وآمن بمشورته فى أن الطريق هو هنا ،

أما الذى لا يأتمر بأمره •• ويقول له « لا •• أنت لا تعرف الطريق ، وماذا عرفت أنت عن الطريق : فالطريق ليس هناك » أيمكن لجندى المرور أن يعينه عملا بأن يسير معه الى أن يدله ؟ بالطبع لا • كذلك ــ ولله المثل الاعلى ــ الهداية بالنسبة لله ، الله يهدى الجميع مؤمنا وكافرا ، يهدى •• بمعنى يدل الجميع على طريق الخير ، وبعد ذلك فالذى يؤمن به الها ويستمع اليه بعد ذلك : يعينه ويسهل عليه المهمة ، ولذلك الاستاذ احمد قال ربنا يعينه ، والمعونة لا تتأتى الا من مقبل على عمل وبعد ذلك تعينه ، أما غير مقبل على عمل فكيف تكون المعونه ؟ فالمعونة لا تأتى لشخص لا يعمل ، ثم تجعله يعمل •• لا ، ولكن المعونة أن تجد واحدا مقبلا على عمل ، وبعد ذلك تعينه أنت على العمل •

الاستاذ أحمد فراج :

هذا سيثير فى أذهان البعض سؤالا أيضا ، ما الذى أعان هذا ، ولم يعن ذلك ، ثم أليس الله هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

حينما نطالع آيات فى القرآن ، لابد أن نستحضر كل المادة • بمعنى سأرى آيات فيها نفى وآيات فيها اثبات مثلا •• الله يقول لرسوله صلى الله عليـــــه وسلم « •• وانك لتهدى الى صراط مستقيم (١) » « انك لتهدى » •• ماذا أثبت له ؟ أثبت له الهداية ثم يقول فى آية أخرى : « انك لا تهدى من أحببت (٢) فأثبتها له مرة ونفاها عنه مرة أخرى • ولايمكن أن يكون النفى والاثبات متعلقين بمعنى واحـــدٍ فى الهداية ، بل الهداية هنا لها معنيان ، هداية بمعنى الدلالة وهداية بمعنى المعونة ، أما التى للرســـول عليه الصلاة والسلام فالهداية بمعنى الدلالة « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » أى تدل الناس وترشدهم على طريق الخير ، يسلكوه •• أو •• لا يسلكوه هذا

---

(١) الاية رقم ٥٢ سورة الشورى ونصها « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » •

(٢) الآيه رقم ٥٦ سورة القصص • ونصها « انك لاتهـــدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » •

موضوع آخر ، يؤمنوا به أو لا يؤمنوا به •• هـذا موضوع آخر ، فالذى يؤمن به ، ويقبل على منهج الله فيه ، ويصدق الله فيه ، يكون عمل الله فى أن ييسر عليه الأمر وأن يعنيه ، يأتى فى آيـة ثانية ويقول « •• والذين اهتدوا •• زادهم هدى وآتاهم تقـواهم »[1] اذا فالهداية ترد بمعنيين ، بمعنى الدلالة وبمعنى الحمل على الخـير ، فالتى بمعنى الدلالة ، فالكل مشترك فيها وأما الحمل على الخير ، فالذى يقبل على الله مؤمنا به ، ومصـدقا لهداه ، يقول له ما دمت آمنت بى وصـدقت بى واقبلت بنفسك على منهجى ، أعينك أنا عـلى ذلك المنهج وأمكنك منه وأريك حلاوته ، اذا فالحق حينما يقول « واما ثمود فهديناهم » أى دللناهم « فاستحبوا العمى على الهدى » أى أنهم قالـوا : لا •• نحن غير مؤمنين بأن هناك ربا ، وليس هناك من توجيه ، فاذا كانوا غير مؤمنين بأن هناك ربا وبأن منه التوجيه فكيف يمكنهم من الهداية ؟ •• لا يمكنهم •• وانما

---

(1) الآيه رقم ١٧ سورة محمد .

يمكن من أقبل مؤمنا به ومن سمع له وكأنه يقول له .. آمنت بى وصدقت منهجى ، وأقبلت بنفسك على ؟ اذا فأعينك على ذلك الامر ، فاذا رأيت آية مطلقة فى قوله « يهدى من يشاء ويضل من يشاء » فلابد أن نحمل المطلق فى القرآن على مقيده ، نقول له هات آيات القرآن فى الهداية كلها تجد هنا « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (١) .. على الكل عامة .. وفى آية أخرى يقول « والله لا يهدى القوم الكافرين » (٢) كافرين به ، فكيف يعينهم على التقوى ، لايمكن، «والله لايهدى القوم الفاسقين» (٣) و « والله لا يهدى القوم الظالمين » (٤) .. « .. ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » (٥) .. اذا فهداية الله بمعنى تذليل العقبات والحمل على

---

(١) آيه ٩٣ من سورة النحل ونصها « ولو شاء الله لجعلكم امه واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون » .

(٢) آية ٢٦٤ من سوره البقره .

(٣) آية ١٠٨ من سورة المائدة .

(٤) آية ٢٥٨ من سوره البقره .

(٥) آية ٣ من سورة الزمر .

طريق الخير لمن ؟ لمن أستمع له وآمن به وأقبل على منهجه ، فالمعونة تأتى من الله لصاحب ذلك ، وأما الذى لا يؤمن بالله ولا يستمع منه ولا يقبل على منهجه فكيف يعينه الله؟ لا يمكن أن يعينه الله فاذا رأيت آيات فى القرآن مطلقة ، وآيات مقيدة ، فاحمل المطلق دائما على المقيد ، وقل « يهدى من يشاء » نعم صحيح • ولكن من هم •• الذين يشاؤهم ؟ فأما الذى كفر به فلا يعينه على الهداية فهو قد هدى الجميع بمعنى دلهم لكن المعونة منه لا تكون الا لمن آمن به واقتنع بالمنهج عنه ، فاذا آمن به واقتنع بالمنهج عنه تكون معونة الله سبحانه وتعالى له •

الأستاذ أحمد فراج :

بعد هذا الحديث الشائق ، ربما يرد فى بعض الحواطر نقطتان ، الاولى ان بعض الكافرين أو الجاحدين أو الذين لا يؤمنون بالله يعانون أحيانا على أمر من أمور الدنيا ، بينما لا يعان عليه المؤمن المتقى الذى يطيع الله ؛ بل قد يجد المؤمن من

الابتلاء مالا يجده الكافر ، هذه نقطة ، والنقطـة الثانية تتعلق بسؤال مطروح هو : اذا كان هناك شخص على تقوى من الله وكان آخر من غير المتقين فهل هناك قدرة على الاختيار عند الاثنين؟ وهل هناك حرية اختيار ، لانه متى توافرت حـرية الاختيار أصبح هناك مقتضى أو أساس للحســاب بالثواب والعقاب ، أرجو توضيح ذلك •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

الدليل على المراد فى توفر حرية الاختيار أن المكره على شىء لا يعـاقب عليه ، ومامعنى الاكراه ؟ أن يحملك على مالا تختار ، مادام يكرهك •• أى يحملك على مالا تختار ، فلا يتعلق عقاب ، اذا الذى يفسد عليك الاختيار يرفع عنك العقوبة • فمعنى ذلك أن المكلف ضامن لك الاختيار ، بدليل ، أنه حين يأتى واحد ويكرهك على العمل فلايكون عليك عقوبة •• فمعنى هذا أن الذى خلقك ، وخلقك مختارا ، فلابد أن تكون مؤمنا بكل ما يكون منه ، فاذا تدخلت قوة لتكرهك على شىء أنت تختار غيره ، فيكون الحساب

فى هذه قد ارتفع عنك • أما المسألة الأخــرى وهى مسائل الدنيا وغيرها فان مسائل الدنيا عادة نجــــد أن النفس مقبلة عليها بطبيعتها ، لكن هناك المناهج التى تحدد حركة المؤمن فى الحياة • لا يوجد أحــد يحث على أمر دنياه أبدا ، كل الناس مقبلون على أمور دنياهم بالاسباب والوسائل ، فالــذى يتقن الأسباب مؤمنا كان أم كافرا ، يأخذها •• يقول الله تعــالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب»(١) ويقول:«كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك •• وماكان عطاء ربك محظورا» (٢) •• وعالم الأسباب فى مسائل الدنيا مطروح أمام الخلق، فالذى يأخذ للشىء أسبابه ، ويتقن عمله يأخذ خيره مؤمنا كان أو كافرا ، لكن لا يأخذ منهج الله الا من آمن بالله ، فمنهج الله هــــذا مخصوص بمن ؟ مخصوص بالمؤمنين ، المؤمن الذى آمن بوجود الله

---

(١) آية رقم ٢٠ سورة الشورى •
(٢) آية رقم ٢٠ سورة الاسراء •

فساعه أن يأمره الله بأمر ، فثقته فى الآمر وثقته فى التكليف تجعله يقبل على الامر ، لانه مكلف به من الله ، اذا أقبل تأتى له معونة الله ، والدنيا كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هوانها عند الله أنه أعطـــاها للمؤمن وأعطاها للكافر ، اذا فلا تقاس مسائل الدنيا بمسائل التكليفات • وحتى نوضح هذه المسألة نأتى ونقول حين يطرح الانسان قضيه من قضايا دنياه بعيده عن تكليف السماء كأن نجد ــ على سبيل المثال ــ طالبا يريد أن يتعلم فى كلية الهندسة ، وهو الآن طالب فى المرحلة الاعداديه، فلابد أن يرتب نفسه على أن يكون متقدما فى الثانوية ومجموعه كذا ، فان لم يقع على كلية الهندسة فقريبه منها • واذا أراد طالب بأن يكون من العشرة الأوائل فى التوجيهية ، فانه يرتب حياته واختباراته على أن يكون كذلك ، فان لم يستطع فقد يكون ــ مثلا من العشرين ، يقع قريبا من الاوائل •• لماذا ؟ لانـــه أخطأ فى بعض التقديرات • وهنـــا نسأل ، لماذا لايتدخل القدر مع الناس مثلا فى أنه يأتى أول الشهر ويمتنع أحد عن صرف راتبه ؟ من الذى امتنع أول

الشهر أن يذهب ليصرف راتبه ؟ لايوجد أحد ، الا أن يأتى للشخص ظرف قاهر ، لماذا لم يتدخل القـــدر هنا ، طيب لنتصور ان رئيس الجمهورية يقول أنـــا مسافر الساعة الرابعة صباحا وأريد الوزراء وكـــذا وكذا يكونوا فى توديعى ، من الذى يتأخر؟ لا أحد • لماذا لم يتأخروا؟ لكن اذا قيل ان الفجر يؤذن الله أكبر ، وقيل لك تعالى الى الصلاة •• لماذا تدخـــل القدر فى هذه ؟ لماذا تدخل القدر هنا ، ولم يتدخـــل القدر هناك ؟ أرونى واحدا من الذين امتحنوا فى الثانوية العامة والذى يبلغ عددهم كذا ألف تأخر من بدء الحصة الاولى من الامتحان مهما كانت مسافته فى المواصلات بعيدة ، لماذا رتب أموره هكذا ، ورتبت له بحيث وقع على مايختار ، لكن اذا قيل له صـــل أو اعمل خيرا ما ، يأتى ويقول لك القدر تدخـــل • لماذا لم يتدخل القدر الا فى الامور المطلوبة تكليفيا وفى أمور دنياه ترتب تلك الامور ، فان لم يقع عليها فانه يقع قريبا منها • هذا سؤال أثاره المسرفون على أنفسهم ، مسير أم مخير ، ولذا الدليل على ذلك •• أن المسألة ليس فيها تناقض عقلى ، لأنه لو كـــان

هناك تناقض عقلى ، لكانوا سيقولون ، اذا كان الله كتب على الانسان المعصية ، فلماذا يعذبه ؟ ولنا هنا أن نقول انه يأتى الشق الثانى ، واذا كان كتب عليه الطاعة فلماذا يثيبه ؟ لم نسمع السؤال الثانى أبدا ؟ كل سؤال يرد ، يقال فيه ، اذا كان الله قد كتب على المعصية ، لماذا يعذبنى ؟ ولم نسأل أبدا ، واذا كان كتب عليه الطاعة فلماذا يثيبه ؟ لم نسمع السؤال الثانى أبدا ؟ كل سؤال يرد ، يقال فيه ، اذا كان الله قد كتب على المعصية ، لماذا يعذبنى ؟ ولم نسأل أبدا ، واذا كان قد كتب له الطاعه فلماذا يثيبه؟ لماذا؟ لأن المسألة الأولى جاءت لهبظلم كمايرى، والثانية جاءت له بيسر ، فهو يريد أن يوجد لنفسه منفذا ليخلص منه .. من ذلك الغرم . ولذلك نأتى ونقول ، أن الحق سبحانه وتعالى مادام قد خلق له عقلا ، وجعل العقل هو مطية التكليف ، بحيث اذا لم يكن عاقلا لا يكلف ، واذا أكره يسقط عنه التكليف ، واذا لم يكن عقله ناضجا أيضا فمعنى ذلك ان الاختيار الموجود فيه ، مشروط فى اقباله على العمل،

والاختيار لا يكون الا مع قدرته على هـذا العمل وقدرته على العمل الاخر •

التليفزيون مثلا صالح بأن تجعل مؤشره على القناة الخامسة التى بها حديث دينى وصالح لان تجعل مؤشره على القناة السابعة التى بها حفلة راقصة ، والقناتان يمكن رؤيتهما بمنتهى السهولة وبدون أى عقبة ، ومع ذلك أنت تفرض على أولادك ألا يجعلوا مؤشر التليفزيون الا على قناة واحدة معينة مع أنه صالح للقناتين ، فأنت حين تعاقب أولادك •• على ماذا تعاقبهم ؟ لا تعاقبهم على خلق الطاقة ، وانما على توجيه الطاقة ، فهذه الموجة موجودة وتلك الموجة موجودة لكن أنتم توجهتم بارادتكم الى فتح موجة معينة ، فالعقوبة ليست على الفعل بل على توجه الفعل الى شىء أنت لا تستطيع أن تفعله •

هنا يأتى سؤال ، كما يقول الاستاذ أحمد ، وهو أن كل واحد يقول •• مادام الله قد كتب على ، فماذا يكون عملى أنا ؟ ويكون ردنا عليه وما الذى أدراك ؟

هل قد أطلعت على اللوح المحفوظ فعرفت نفسك، أنك مكتوب من أهل الشقاء ، من الذى قال لك ذلك ؟ لم يقلها لك أحد ، وقد يرد بأن يقول : حين أقبل على العمل السىء أفهم أننى من أهل الشقاء ، فنقول له ، وهل أنت تقبل على كل عمل شرير ، فلا يوجد ناس مطبوعون على الخير المحض ، وناس مطبوعون على الشر المحض ، ولكن الله كتب عليك أزلا •• لماذا ؟ لان لله الخلق والقدرة ، والعلم ، صفة العلم عند الله — هى التى جعلت الحق سبحانه وتعالى كأنه يقول •• أنا سأخلق عبدى فلان ، وسأخلقه مختارا فى بعض الاعمال وغير مختار فى بعضها الآخر ، وغير المختار فيه لا دخل فيه للحساب ، وسأدخل الحساب فيما له فيه من اختيار ، لكن عبدى أنا أعرفه سيختار كذا ويختار كذا ويختار كذا ، فهو قد كتب أزلا لانه علم •••

الأستاذ أحمد فراج :

وهل علمه أجبر •• بمعنى هل هو علم جرى ؟

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

سؤال فى محله هل العلم صـــفة جبر ؟ العلــم ليس صــفة جبر ، العلم صــفة انكتســاف فقط ، العلم صـــفة انكشاف •• تنكشف الاشــياء على ما هى عليـــه ، وأنــا سأضرب مثـــلا بسيطا جدا ، كثـــيرا ما أضربه للطلاب ، مثـــلا أنت جئت لتزورنى فى البيت وعندى خادم فأرسلته يحضر لك زجاجة من الكازوزة من البقال ، فلما خرج أبطــأ ، فقلت لك : هل تعرف لماذا أبطأ ؟ قلت لى •• لا أعرف قلت لك •• والله هناك ولد آخر على ناصيةالشارع مستولى على هذا الولد ، وحينما يراه خارجا لشراء حاجة ، يأخذه ويلعب معه •• ويأخذ منه النقود ، والنقود ضاعت من الولد وهو خائف أن يأتى • هذا الكلام قد قلته وأنا معك فى البيت وبعد ذلك جــاء الولد فسألناه ما الحكاية ، فقال كما قلت أنـــــا هل يا ترى عندما تكلمت أنا عن الولد وما يصنعــه وقلت أنه سيحصل منه كذا وكذا ، أكنت قد أرسلت معه قوة لترغمه على فعل ما أقوله لك ؟ أم هــو فى

حاله؟ طيب فكيف قلت أنا هذا الكلام؟ أنا قلته ••
لاننى أعرف سوابقه مع أن معرفتى لسوابقه تكون
للعلم فقط •• لكن ليس عندى قدرة ترغمه على
تنفيذ ما أقول • كذلك ـ ولله المثل الاعلى ـ علم
الله سبحانه وتعالى أزلا مايكون من عبده المختار ،
فقال •• سيكون من عبدى كذا وكذا ، فهو كتب لا ليزم
ولكنه كتب لأنه عالم بما يكون من العبد • والفرق بين
الصورتين أن العلم فى البشر قد يتخلف فيه شىء ،
من الجائز أننى أعرف ان هذا الولد صفته صحيحة ••
وسأحكم هذه الاحكام ، لكن يمكن أن يخرج هذه
المرة بالصدفة فتصدمه سيارة فينقل الى المستشفى
ولا يحدث شىء مما قلته ، أقول : هذا خطأ فى علمى
أنا ، لكن الحق لا خطأ عنده فى علمه ، اذا فالحق
كتب قديما •• لأنه علم مايكون من عبده باختياره ،
فهو لا يكتب ليلزم لان العلم صفة انكشاف وليس
صفة تأثير كالقدرة •

الاستاذ أحمد فراج :

بعد الحديث الرائع من فضيلة الاستاذ الشيخ

محمد متولى الشعراوى تطرح هذه الاسئلة :

س ١ : مامعنى «انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا »[1] مامعنى السبيل هنا ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

الحق سبحانه وتعالى حينما قال « انا هديناه السبيل » فسر السبيل . « اما شاكرا واما كفورا » والسبيل هو الطريق الذى يسلكه ، اما شاكرا لانعم الله واما كفورا بأنعم الله . فهو صالح للعملبتين . وكما يقول « وهديناه النجدين »[2] أى جعلناه صالحا لهذه وصالحا لهذه ، فما الذى يرجح ؟ فمادام فيه صلاحية لهذا وصلاحية لهذا ، ما الذى يرجح منهج الله من الزام نفسى به ؟ لو كنت مخلوقا لطريق واحد كنت أقول .. لا .. أنا لا أستطيع أن أذهب الى الطريق الآخر ، ولكنه هو مهدى للسبيل ، والمنتظر أمران ، اما أن يكون شاكرا واما أن يكون كفورا ،

---

(١) آية رقم ٣ سورة الانسان .
(٢) آية رقم ١٠ سورة البلد .

اذا فهو مخلوق صالح لان يكون شاكرا ومخلـــوق صالح لان يكون كفورا وليس مخلوقا عـــلى حالة تناقض الحالة الثانية •• لا •• على الاثنين • فماالذى يرجح اختياره بين البديلات ؟ لاشك أنه العقل •• اذ أن هذه من مهمته ، « وهديناه النجـــدين » ثم يقـــــول « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والارض وما طحاها ، ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » [1] •• اذا النفس صالحة لان تكون فاجرة وصالحة ، لأن تكون تقية ، هذه مخلوقيتهـــا لله ، بعد ذلك « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » •• اذا فما دام الامر للاثنين ، وأنت صالح أن تتجه لواحدة منهما ، فكونك تميل الى هذه الجهة أو لا تميل الى هذه الجهة ، فهذا هو محل الحساب ومحل المؤاخذة •

س ٢ : الله سبحانه وتعالى ، وهو العدل المطلق

---

(١) الآيات من ١ — ١٠ سوره الشمس •

هل يتناسب عقاب الانسان العاصى مع عمره كله فى معصيته ، لو قضى عمره كله فى معصيته ، هل تتناسب العقوبة فى الاخرة مع هذه المعصية ، ونحن نعلم من القرآن الكريم .. أنها خلود فى النار فى بعض الكبائر وبعض المعاصى الكبيرة ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

ياسيدى الفاضل ، بالنسبة لتناسب العقوبة، أولا أنت مؤمن بالمعاقب أو غير مؤمن به ؟ هناك أولا ايمان بالمعاقب . وايمان بعدالته . فاذا كنت مؤمنا بها ، فلا يصح أبدا أن ترد الاعمال الى تشكيك فى أصل القضية ، لانك تسأل هل تتناسب العقوبة مع الذنب ؟ فهو الذى خلقك .. وقال : هذه جريمة ، وهو الذى قنن لها العقوبة ، فلا أستطيع أن أقول هل تتناسب أو لا تتناسب ؟ نعم تتناسب لان الانسان لو نظر نظرة عامة بدون ما يدرى ان هناك دنيا .. بفطرته ، هل يهتدى الى أنه هو بمفرده فى الكون أم وراء هذا الكون قوة ؟ لابد أن يكون وراء هذا الكون قوة ، فتكون عنده خيانة عظمى ، والخيانة العظمى هذه

لا تستبعد عليها عقوبة ، لان الخيانة العظمى فى ذات الايمان بوجود الحق ، فيما عدا ذلك هل هو داخل فى المغفرة أم لا ؟ الاجابة فى قول الله : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١) فما دام الذنب داخلا فى قمة الكفر ، وهى الخيانة العظمى ، وفى الايمانية ، فلا يجوز آن يقال ان فى هذه عقوبة أكبر من الذنب . لانه .. « ان الشرك لظلم عظيم » (٢) ونحن نقول « لا عقوبة الا بتجريم ، ولا تجريم الا بنص » فمادام الحق سبحانه وتعالى .. نص على الجريمة ونص على العقوبة ، فليس لى أن أقول .. ان هذه العقوبة أكثر من الجريمة أو أقل .. لماذا ؟ لأنه هو الذى يحدد ذلك وليس أنا الذى أحدد . فاذا ذهبنا بعقولنا هذه لنقيس الجريمة ، نقول لك .. هناك فرق بين جريمة فى القمة وبين جريمة فى غير

---

(١) آية رقم ١١٦ سورة النساء .

(٢) آية رقم ١٣ سورة لقمان ونصها « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » .

القمة .. فالجريمة التى فى ذات الحق سبحانه وتعالى ليس أكبر منها جريمة . انها الخيانة العظمى ومادامت خيانة عظمى ، فهذه لا يقال ان عقوبتها كبيرة . أما فيما عدا ذلك فالحق يتجلى بالمغفرة حتى لا ييئس عباده .

س ٣ الآيات التى تقول « بسم الله الرحمن الرحيم ، قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم» (١) لو تكرمت تشرح لنا هل الذنوب ، المقصود بها ذنوب كبائر أم صغائر ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

كما قلنا سابقا اذا رأينا آية لابد أن نرى الآيات الاخرى ، لعلنا نجد ما يهدينا الى فهمها دون أن يقع فى أذهاننا وهم وجود الاختلاف أو التناقض ، أو مايهدينا الى مايجعلنا نقيد هذه أو نطلق هذه، آية: «قل

---

(١) آية ٥٣ من سورة الزمر

يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا » كلمة يغفر الذنوب جميعا هذه لا تدخل فيها الشرك ، لان الشرك ليس ذنبا ، لان الذنب أنك تفعل شيئا منصوص فى ايمانك على عقوبته ، انما الشرك هذا خيانة عظمى كما قلنا ، بدليل أن الآية الثانية تقول « ان الله لا يغفر أ نيشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » •• فتكون « يغفر الذنوب جميعا » •• أى ما يسمى ذنوبا ، والشرك لن نسميه ذنبا ، فهو أكبر من الذنب ، لأن الذنب أن تؤمن بمنهج وبعد ذلك خالفت صاحب المنهج حين قال لك اعمل كذا ، واعمل كذا ، فيكون هناك ذنب لكن كونك لا تؤمن بصاحب المنهج نفسه ، فيكون ذلك غير داخل فى الذنب ولذلك كل المفسرين •• يقولون لك « ان الله يغفر الذنوب جميعا غير الشرك » على المفهوم أن الشرك داخل فى الذنوب ، فنقول لهم •• لا •• هو غير داخل فى الذنوب « ان الله لا يغفر ان يشرك ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » بقى هذا الغفران ••

هل رتبه الحق على مجــرد المشيئة فقط أم ما هو سياق الآية ؟ قيل أن الحق رتبه « ان الله يغفـــــر الذنوب جميعا » •• لكن ماذا قال « •• وأنيبوا الى ربكم ، وأسلموا له » •• أى لا تتكل على أنه سيغفر الذنوب جميعا فهو قـــد قال « وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبـــــل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقـول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين » (١) ، فاذا قول الله : « ان اللـــه يغفر الذنوب جميعا » وبعدها يقول « وأنيبوا الى ربكم » •• ان كانت الانابة هى التوبة ، فتكون التوبة تجب ماقبلها ، واذا لم تتب فالآية فيها كلام فى أن الحق سبحانه وتعالى لا يغفـــــرها •• لانه قال « وأنيبوا الى ربكم » فالانسان اذا لا يأخذ بظاهر الآيات الا اذا أخذها لنهايتها فآية « يا عبــادى الذين أسرفوا » •• لا تقل ان أذنبت ذنبا •• ان

---

(١) الآيات من ٥٤ ــ ٥٦ من سورة الزمر •

الذنب سيلازمك ، لكن التوبة تمحوه عنك ، الحسنات تبدل السيئة حسنة ، أما أن الانسان يسرف فى الذنوب وبعد ذلك لا يتوب ولا يتبعها بحسنات تمحوها ، وبعد ذلك يتكل على الله بالامانى ، فهذا ممنوع فى الاسلام .

س ٤ : احمد الله كثيرا ، وأصلى وأسلم على نبيه المصطفى ، شهادة ألا اله الا الله ، نعلم أنها الركن الأساسى فى الاسلام ونعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى ثلاثة عشر عاما فى تحديد هذا المعنى بالذات ، فهل هى قضية كلامية أم هى تحيط الحياة بأكملها ، فأريد أن أستفسر عن هذا الموضوع ، وشكرا .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

ان أول سورة « المنافقون » تعطيك الجواب عن هذا ، « اذا جاءك المنافقون قالوا .. نشهد انك لرسول الله » ماذا قال المنافقون ؟ « نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله » اذا قالوا كلاما الله يقول انهم قالوه .. « والله يشهد ان

المنافقين لكاذبون » (1) كاذبون فى ماذا .. فهم يقولون « نشهد انك لرسول الله » ؛ فالأصل « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون» فمادام الذى شهد ذلك الله فكيف يصفهم الله بأنهم كذابين ؟ هم كذابون ليس فى قولهم « انك لرسول الله » .. هم كذابون فى قولهم « نشهد أنك لرسول الله » لان ما معانى الشهادة ؟ قول باللسان يواطىء عقيدة القلب ، فالتكذيب ليس فى قولهم « انك لرسول الله » .. لانه رسول الله حقا ولكن فى قولهم « نشهد انك لرسول الله » .. اذا قال الانسان بلسانه « أشهد ألا اله الا الله » ولم تواطىء قلبه فهل يكون ذلك كذابا أم غير كذب؟ تكون كذبا فهم لا يقولون انك لرسول الله وانما قالوا « نشهد انك لرسول الله » فربنا قال لهم انكم كذابون ، فى ماذا ؟ فى المشهود به أم فى الشهادة ؟ أما المشهود به .. فهو رسول الله ، وهو رسول الله حقا ، والله قال :

---

(1) الآية رقم 1 من سورة المنافقون .

« والله يعلم أنك لرسوله » لكن هو كذبهم فى ماذا ؟
فى قولهم « « نشهد » لانهم قالوا ذلك بأفواههم ولم
يقولوها بقلوبهم ، والشهادة المفـــروض فيهـــا أن
يواطىء اللسان القلب ، هذه من ناحية عقيدتهــــــا
وتيقنها من ناحية مدلولها ، كلمات تقال •• وما دمت
تشهد ألا اله الا الله ، فسير كل نظام حيـــاتك على
نظام هذه الشهادة ، لا اله الا الله ، لا معبود الا الله
لا خضوع الا لله ، لا تصرف الا لله ، الاسباب وان
أعطت هى من فعل الله ، وان أجدت هى من فعل الله
اذا لابد أن تشيع هذه العقيـــدة فى كل تصرفاتك ،
فمعناها ان يكون اللسان فيها موافقا القلب ، وهذا
من ناحية الاعتقاد واليقين ، وبعد ذلك انسحابها من
ناحية السلوك العام أن تخوض نظام حركة الحياة
على أنه لا اله الا الله ،فى كل مظهر من مظاهرها ،
فلا غنى ولا قوى ولا حـــاكم ولا أى شىء له شىء
غير الله ، ولذلك قد تسأل ماالذى أتعب كفار قريش
فى أن يقولوها والجواب هو : علمهم بمطلوبها ، فلو
كانوا عارفين أنها مجرد كلمة تقال لقالوها •

الاستاذ أحمد فراج :

حقا لقد كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم دائما : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » ولا يمكن أن يكون المطلوب مجرد القول ، والا لاستجابوا ولكنه كان قولا وراءه رصيد من الايمان بمعناها ومبناها ومقتضاها والتزاماتها .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

نعم ، لم يقولوها لأنهم يعلمون مامدى التزاماتها . معنى لا اله الا الله ، أى ما هى مطلوباتها ، ولذلك لم يقولوها ، والا لو كانت المسألة سهلة لكانوا قالوها . اذا فشهادة الا اله الا الله ، لا تكون شهادة الا اذا وافق اللسان فيها القلب ، هذا من ناحية اعتقادها وبعد ذلك يجب أن تنسحب على كل حركة الحياة فى الانسان ، فلايشهد الا الله ، هو الفاعل ، وهو القادر وهو المعطى ، وهو النافع وهو الضار ، وكل أسباب الله تحت يدى الله ان شاء جعلها تعطى وان شاء لم يفعل .

معجزات كونية صاحبت مولد الرسول

الاستاذ احمد فراج

ضيفنا على هذه الصفحات ــ ان جاز التعبير ــ هو رسول الله صلى الله عليه وســـــلم ، وما أكثر الجوانب التى يمكن أن نلتقى فيها مع هذه الشخصية الفذة ، شخصيته صلى الله عليه وسلم •• محمـــد رسول الله ، سيد الاولين والاخرين ، الذى اصطفاه الله ، وكرمه ، والذى نتوجه فى كل صـــــــلاة لله بالصلاة والسلام عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ونحن نشعر أننا ، عندما نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانما نتحدث عن القرآن ، لأن خلقـــه هو القرآن ، ولأن جوانب شخصيته من كل ناحيـــة ينا اليها هى القدوة والأسوة الحسنة ، « لقد كان م فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله ليوم الاخر ، وذكر الله كثيرا •• » (١)

---

(١) آية ٢١ من سورة الأحزاب •

وكثيرة هى تلك الموضوعات التى يمكن أن يتناولها أى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكننا سوف نقتصر منها على جانبين أساسيين ، الأول منهما يتصل بمولده صلى الله عليه وسلم ، وبعض الامور والمعجزات الكونية التى صاحبت ذلك الميلاد ، ميلاد سيد البشرية .. صلى الله عليه وسلم .

والجانب الثانى ، يتعلق ببعثته صلى الله عليه وسلم ، وبنزول الوحى ، وبما نعرفه فى سيرته صلى الله عليه وسلم ، من فتور الوحى فترة من الزمن ، ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد تهيأ بعد ، فى تصورنا البشرى ، الى أن يحتمل مثل ذلك « الفترة » الطويلة التى انقطع عنه خلالها وحى السماء .

ثم .. بعض مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند رب العزة ، من الموضوعات التى نرجو أن نتناولها فى هذا اللقاء ، ولعله يكون أكثر امتاعا حين يكون فى حوار مع فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وأرجو أن أكون فى غنى عن أن نقتحم حديثه

الشائق فى لحظة من لحظات استرساله الممتع ان شاء الله ،

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمدك ربى ، واستعينك وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد ، أذن الخير التى استمعت واستقبلته آخر ارسال السماء لهدى الارض ، ولسان الصدق الذى بلغ عن الحق هداية الخلق ، وبعد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى وأكرم من أن يقيمه بشر مثله ، ولكن الذى يقدر على أن يقيمه التقييم الطبيعى لمكانه ، هو ربه الذى اصطفاه وأرسله .. « ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير .. » (١) واذا أردنا أن نعرض لتقييم الحق لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وجدناه حين يخاطب جميع الرسل ، يخاطبهم بأسمائهم مباشرة .. فيقول .

---

(١) آية ١٤ من سورة الملك .

« يا آدم ان هذا عدو ولزوجك »[1] ، ويقول : « .. يانوح اهبط بسلام منا .. »[2] ويقول: «فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك .. »[3] ويقول : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله .. »[4] ولكنه حينما يتوجه بالخطاب الى حبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لم يقل له .. يا محمد ، ولا يا أحمد .. وانما قدم بين يدى ندائه قوله ، « يا أيها النبى .. » ذلك أمر، يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرفعه الى أقرب المكانات من ربه . ونجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكدها ، يقسم بأشياء كثيرة من أجناس شتى ، فيقسم بالجماد ، ويقسم بالنبات ويقسم بالحيوان ، ويقسم بالملائكة ، ولكننا لم نره أقسم ببشر مطلقا ، اللهم الا برسوله صلى الله عليه

---

(١) آية ١١٧ من سورة طه .
(٢) آية ٤٨ من سورة هود .
(٣) ١١ — ١٢ من سورة طه .
(٤) آية ١١٦ من سورة المائدة .

وسلم ، حيث يقول « لعمرك أنهم لفى ســـــكرتهم يعمهون •• » (١) أى وحياتك •• يا محمد ، فكأن عمر رسول الله ، وحياة رسول الله ، أمر له مقــامه عند ربه ، واذا كان الناس حين يمدحون انسانا بحسن الخلق ، ونبل الصفات ، وجمـــال الخلق ، فانهم يمدحونه ، لأنهم عرفوا الصفا ت، وقيموها ببشريتهم وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء ، فان الحق حين يقيم الخلق ، يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه فى الانسان ، فيقول « •• وانك لعلى خلق عظيم •• » (٢) فحين يقول الحق ســـبحانه وتعالى لرسوله « •• وانك لعلى خلق عظيم » فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر ، ولكنه الخلق المطلوب لله ، ورسول الله اجتاز هذه المنزلة ، فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم •

الحق سبحانه وتعالى حين يريد هدى خلقـــه ، يرسل لهم رسلا ، والرسل يأتون بمنهج الله الى

---

(١) آية ٧٢ سورة الحجر

(٢) آية ٤ سورة القلم •

الناس ، ولكن المنهـــج يقيد الناس فى حركاتهم ، والناس يألفون دائما شهوات أنفسهم ، فتطرأ عليهم الغفلة ، وحين تطرأ عليهم الغفلة ينسون شيئا من المنهج ، وحين ينسون شيئا من المنهج يأتى المجتمع لينبههم الى ذلك ، اذا فالانســـــان قد يـــكون أوابا الى ربـــه حـــين تكون نفســه لوامه ، ولكن قد تأتى عليه فترة من الزمن ، فلا تلومه نفسه ، فعلى المجتمع حينئذ أن ينبهه الى نفسه ، وأن يعيده الى رشده ليهديه ، فاذا ما فسد المجتمع فمــاذا يكون الموقف ؟ لابد أن تتدخل السماء مرة ثانية ، لتــأتى بالمنهج الجديد ، هذا المنهج الجديد لابد أن يكون على لسان رسول جديد بمعجزة جديدة ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، قد شاء أن يختم الرســـالات ، برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يأت نبى بعده ، اذا فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الخاتم ، ومعنى الخاتم .. أن الله أودع فى أمتــه خصيصة ، هذه الخصيصة تقوم مقام تعدد النبوات، وتعدد الرسالات . اذا فرسول الله صلى الله عليه

وسلم هو الخاتم لرسالات السماء ، ومادام الخاتم لرسالات السماء ، فلابد أن يكون فى رسالته عناصر البقاء ، وفى أمته أيضا ، عناصر الحفاظ على هذه الرسالات ، ولذلك يقول « •• الخير فى ، وفى أمتى الى يوم القيامة •• » ولكن الخير حين يكون محصورا فيه ، فمحمد صلى الله عليه وسلم أهل لأن يتلقى كمالات متعددة ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ منه صفة ، وآخر يأخذ منه صفة ، وثالث يأخذ وسلم بأجمعه وكله ، ولكنه فى أمته موزع ، فواحد يأخذ منه صفه ، وآخر يأخذ منه صفه ، وثالث يأخذ منه صفة ، بحيث اذا تجمعت صفات الكمال فى أمته صلى الله عليه وسلم ، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الامة كلها •

انسجام الانسان وأجناس الوجود :

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود ، ومعنى انسجام الانسان مع الوجود •• أن الوجود بجماده ونباته وحيوانه خاضع •• مسخر لله ، لايمكن أن يصدر

عنه شيء الا بمراد الله منه ، ولكن الانسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع ، وجاء منه العاصى ، ولذلك يعرض الحق هذه القضية ، فى عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع الساجد .. الخاشع ، يقـــول الحق « .. ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات، ومن فى الارض ، والشمس والقمر والنجـــوم ، والجبال والشجر والدواب .. » تلك هى أجنـــاس باجماع ساجدة .. خاضعة لله ، ولكنه حين جاء عند الانسان لم يأت ذلك الاجماع ، فقال « .. وكثير من الناس وكثير حق عليه العـــذاب .. » (١) وكان من المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجـــود كله ، فيكون خاضعا لمنهج الله ، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله ، والوجود الخاضع لمنهج الله يحب الانسان الخاضع لمنهج الله ، ويأتلف معه ، وينسجم معه ، ولاينجم شيء من الوجود مع الانسان الطـــائع أما الانسان العاصى ، فهو يشكل شقاقا بينـــه ، وبين

---

(١) آية ١٨ من سورة الحج .

أجناس الوجود ، وجود مسبح •• وجود ساجد ، وجود خاشع ، وانسان متمرد عاصى •

هل يفرح الوجود بالانسان

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود ، فلا بدعة اذا أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه ، وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ، ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الانسان ، ليكون الانسان خاضعا كبقية أجناس الكون لله سبحانه وتعالى ، اذا فلا عجب أن يفرح به الوجود ، لا عجب أن يفرح به الجماد ، ولا عجب أن يفرح به النبات ولا عجب أن يفرح به الحيوان ، ولا عجب أن تفرح به الملائكة ، ولا عجب أن يفرح به طائع الجن ، اذا ، فاذا حدثنا •• أن ميلاده صلى الله عليه وسلم قد قرن باشياء حدثت فى الكون •• من ارهاصات فى الوجود كله بميلاده ، فيجب علينا ألا

نستبعد ذلك ، لأنه هو الرسول الذى يعيد للانسان انسجامه مع الوجود كله ، والوجود كله كما نعرفه ، ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا ، ولكن له حياة وله تعقل فى التلقى عن الله ، وله فرح ، وله حزن . وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية عرضا اجماليا ، لنعرف أن الكون كله عبد لله ، وخاضع له ، فقال « .. وان من شىء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم .. (1) » اذا « ان من شىء » أى كل شىء فى الوجود مسبح ، ولكننا ألفنا التسبيح بألفاظ ، وألفنا التسبيح بلغة ، فلما لم نسمع من الكون ألفاظا ، ولما لم نسمع من الكون لغة ، قال بعض العلماء .. انه تسبيح الدلالة على وجود الله ، وعلى وحدانيته ، نقول لهم مرحبا ، له أيضا تسبيح الدلالة ، ولكن ذلك لا يمنع من التسبيح الحقيقى ، لأنه ان كان تسبيح دلالة كما تقولون ، فالحق قال:

---

(1) آية ٤٤ من سورة الاسراء .
(2) آية ١٠ من سورة سبأ .

« .. ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وأنتم قد فقهتموه، اذا فهو غيره ، والذى يدل على ذلك أن الحق سبحانه وتعالى عرض من أجناس الوجود أشياء ، وجعلها تشترك أيضا مع الانسان فيقول فى شأن داود « .. يا جبال أوبى معه .. » ومعنى أوبى .. رجعى تسبيح الله ، أى يجب أن يوافق ترجيعك ياجبال ترجيع داود .. « وسخرنا مع داود الجبال يسبحن .. »(١) والجبال مسبحة مع داود ، ومع غير داود ، ولكن الأمر .. أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود ليكون كأنه عرس توحيدى فى الكون ، وأيضا الحق سبحانه وتعالى يعرض لنا .. أن لجميع الأجناس منطقا ، ولها لغة ، جهلنا بها .. هو الذى جعلنا لا نفقهها ، فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الأشياء ، أمكنه أن يفقه تسبيحها ، وأن يفقه منطقها ، اقرأوا ان شئتم قول الله « .. قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان

---

(١) آية ٧٩ من سورة الانبياء .

وجنوده وهم لا يشعرون »(1) قالت •• وسمعها سليمان ، وحمد الله على أن أنعم عليه بأن فهم لغة النملة ، قد يقال ان تلك أمور تعلمتها النملة ، لتحافظ على نوعها ، بدليل « لا يحطمنكم سليمان وجنوده » فهى تحافظ على بقاء النوع ، نقول له •• لا ، حينما عرض الحق أيضا ، قصة هدهد سليمان ، فماذا قال الهدهد ، لقد قال « •• وجئتك من سبأ •• بنبأ يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم»(2) •• هذا كلام الخبر ، ولكن الذى يهمنا فى قضية العقيدة والتوحيد ، وأنها أمر سائر فى كل أجناس الكون ، أن يقول الهدهد « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله »(3) هذا ما حز فى نفس الهدهد •• أن يسجدوا للشمس من دون الله ، اذا فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح •• من يجب أن يسجد له

---

(1) آية ١٨ من سورة النمل •
(2) آية ٢٣ من سورة النمل •
(3) آية ٢٤ من سورة النمل •

« ألا يسجدوا لله ، الذى يخـــــرج الخبء فى السموات والأرض •• » (١) •

اذا فاذا عرضت لنا السيرة ، أن أشياء من الكون فرحت برسول الله ، وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله ، عارف بحق الله • وأيضا ، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا ، ولكن الذين آمنوا ، هم الذين شاهدوها ، هم الذين سمعوها فالذين سمعوها ، حجة على أنفسهم ، ونحن نتلقى عنهم الخبر ، فان كنا موثقين لهم فى الخبر ، صدقناه ، وأن لم يتســع ظننا لتوثيق الخبر ، فنحن أحــرار فى أن نصدق ، أو •• لانصـــدق ، ولكن منطق الاشـــياء ، ومنطق الوجود ، لايحيل وجود شىء من ذلك • فاذا حدثنا ، أن ايوان كسرى قد شق ، فماذا فى ذلك؟ وما فى ذلك من العجب !! أنستبعد أن يوقت شق الايوان بالميلاد ، أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس ، وأن يوقتها مع الميلاد ، أنستبعد على الله ، أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد ، لماذا هذا ؟ اذا ،

---

(١) آية ٢٥ من سورة النمل •

فالقرآن حين يعرض لهذه القضية ، يعرض لما حدث في الكون في عام الفيل •

حفظ المبنى والمعنى :

في عام الفيل ، نعلم أن قوما جاءوا ليهدموا بيت الله ، وبيت الله هو الذي اختاره الله لنفسه ، وحوله ونحوه نلتف جميعا في الصلاة ، هـذا البيت له قالب ، هـذا القالب أريد به ضر وهدم ، فلماذا لانفهم أن الحـق سـبحانه وتعالى ، حافظ عـلى مبنى البيت في ذلك العام ، وأوجد فيه الشخص الذي يحافظ على معناه في ذلك العام ، فتكون المحافظة على المبنى ، بمنـع أبرهة من هدمه ، هي عينها المحافظة على بقائه لربه ، بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، واذا كان الحق قد عرض لنا هذه القضية ، فانه قد عرضها عرضـا عجيبا ، هـذا العرض العجيب ، يتجـلى في قوله « •• ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول »[1] •

---

(١) سورة الفيل •

ورسول الله لم ير وقتها ، ولكنه علم بالقضية من اللـــه ، هنا نلتفت لفته هامة ، هذه اللفتة ، هى لماذا عبر الله بـــ •• ألم تر •• فى مقام «ألم تعلم»؟ لأن العلم اذا كان بواسطة الاخبار من اللـــه ، فيجب أن يستقبله المؤمن بالله ، استقباله لما يرى ، ولما يحدث، فليس خبرا عن غيب ، فكأن ما يقوله الحق فى « ألم تـــر » •• أى ألم تعلم •• وكأن الحق يقول : اننى أقول لك ، واذا قلت لك ، فأنا عينـــك ، وكأنك ترى ذلك ، ويقول الحق • « •• ألم تر كيف فعل ربك »•• ومعنى الاضافة هنا ، تدل على أن المســألة متعلقة بمحمد صلى الله وسلم ، فعل ربك ، والرب ، تفيــد التربية ، والكمـــال والبلوغ بالمربى الى مرتبـــة الكمال ، فما دام فعل ربك ، فيكون لمحمد صلى الله عليه وسلم علاقة بالمحافظة على ذلك البيت • وبعد ذلك حين عرض القضية ، عرضها العرض الذى نعلمه حيث أرسل عليهم طيرا أبابيل « ترميهم بحجارة من سجيل » •• هنا وقف بعض العلماء وقفة ، وأنا أحب هنا •• أن أصفى هذه الوقفة •• اننا قد أتهمنا بأن ديننا لا يتمشى مع العقل ، اتهمنـــا هذه التهمة من

المستشرقين ، ولكن المستشرقين حين يلقون هذه التهمة ، يحبون أن يدخلوا منها الى منفذ خطير يهدمون به الاسلام ، فقام قوم من الغيورين على الاسلام ، وقالوا : الاسلام فى كل قضاياه متمشى مع العقل •• فجاءوا الى كل مايتصل بالغيب الذى يقف فيه العقل ، وحاولوا تأويله تأويلا يرضى العقل ، حتى يدفعوا التهمة عن الدين بأنه لايتمشى مع العقل ، وعلى رأسهم علماء كبار ، ومدارس عقلانية ، لها مذاهب شتى ، وجاءوا فى هذه الحادثة التى عاصرت ميلاده صلى الله عليه وسلم ، فماذا قالوا ؟ قالوا ان الطير الأبابيل التى ترميهم بحجارة من سجيل ، هى الميكروبات ، ميكروبات أرسلها الله على ذلك الجيش ، لماذا ؟ ليقربوا المسألة الى أذهان الناس ، حتى لايتهم الاسلام بأنه يأتى بأشياء لاتطابق العقل ، نقول لهم •• أنتم مشكورون على غيرتكم فى أن تدخلوا بعض قضايا الغيب فى الاسلام الى مرتبة العقل ، ولكن الأديان لا تناقش هذه المناقشة ، لأن الدين ، انما يناقش بالعقل فى قمته

الأساسية ، وهى قمة الايمان بالله ، ادخل على الايمان بالله بعقلك ، أنت حر فى أن تؤمن أو .. لا تؤمن . ولكن اذا دخلت على الايمان بالله بعقلك وفرغت من هذه القضية وصولا للايمان .. فتقبل بعد ذلك عن الله كل ما يقول ، ولاتدخل عقلك فى كل جزئية مما يقول ، لماذا ؟ لأنك ان أدخلت عقلك فى كل جزئية مما يقول ، فقد رجعت فى قضيتك الاولى ، اذا فاحتراما لعقلك ، مادمت قد آمنت بالله ، فيجب أن يكون عمل عقلك هو فى توثيق النقل عن الله ، أقال الله ذلك .. أم لم يقله ؟ فاذا كانت المسألة كما يريد العقلانيون أن يفسروها، وهو أنه ميكروب ، أو طير يحمل حجارة فيها ميكروب ، نقول لهم : حدث الفيل ، حدث عام ميلاده صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله بعث على رأس الاربعين ، ولاشك أن قوما من الذين عاصروا رسالة رسول الله ، كان منهم البعض فى سن الستين ومنهم من فى السبعين ، وهناك الذين سنهم ثمانون سنة ، اذا فقد كانوا فى عام الفيل فى سن

العشرين ، وفى سن الثلاثين ، وفى سن الاربعين ، اذا فقد شاهدوا الحدث ، وهم لم يعرفوا الميكروب، ولم يعرفوا شيئا عنه ، فلو أن القصـــة التى رآها هؤلاء عام الفيـــل ، تعارض أى جزئية من جزئيات القرآن التى قالها ، طير ، وأبابيل ، وترمى بحجارة من سجيل ، وتجعلهم كعصف مأكول ، لكــــان من الميسور على المكذبين أن يقولوا : أرأيتم انهيقول مالم يحدث •• وكان من الميسور أن يكذبوا الامر ، اذا فالمســـــألة حدثت كما قصـــــها القرآن ، وكمـــا يفهمها العــــــربى ــ من طير أبابيل ترمى بحجارة من ســــــجيل ، تجعلهم كعصـــــف مأكـــول وهب أنـــك جئت بالميكروب ، فلمــاذا تأتى بـــه ، آلتسهلها على الله ؟ بالقطع لا ، نقول له « وحتى اذا كنا نصدقك فى الميكروب ، فما ذلك الطير العاقل ، والميكروب الموجه ، الذى لايتوجه الا الى أعـــــداء الكعبة ، يختار قوما دون قوم ، فيلقى عليهم ميكروبا، وما ذلك الميكروب الذى يفعل فعل السحر ، فى أنـــه

بمجـــرد أن يلقى ، يفتك بالجسم فيجعله كعصفه مأكول ، بدلالة « الفــــاء » « ترميهم بحجــار من سجيل ، فـــ .. جعلهم » وهـــذه الفـــاء للترتيب والتعقيب ، والميكروب اذا دخل جســـما ، فلابد له من فترة طويلة من حضانة ، ثم فترة طويلة من فتك، ثم فترة طويلة بعد ذلك يرم الجســـم وينتن ، واذا رم وأنتن ، فبعد ذلك يتمزق ، فمـــا ذلك الميكروب السريع العادل ، الذى اذا نزل جعــل الجسم كأنه عصف مأكول ، اذا ، فسواء قلت ميكروب ، أو غـــير ميكروب ، فيد السماء ، وفعل الله متجلى فى كل شىء ، ولو كان فى الميكروب كما تقول ، ويجب أن نتتبه دائما الى أن الحق سبحانه وتعالى حين يعرض أمرا من الامور ، فيقول « فعل ربك » ، فهذا يعنى أنه يجب كما قلنا أن تطوح قوانينك ؛ لأن الذى فعل هو ربك ، ومادام « فعل ربك » فلا تأتى بالقوانين التى فى عرفك هى الفاعلة ، اذا ، « فعل ربك » فهذا يعنى أنه يجب كمـــا قلنا أن تطرح قوانينك وتلغى عقلك .. انتهت المسألة ، والغاء عقلك هذا ، ثقة فى

من قال ، ومادام الامر ثقة فى من قال ، فـــلا يهم ما اذا تحملها عقلى أم لم يتحملها ، لأن الايمـــان يتحمـــــل كـــل شىء ، ولذلك قال بعض العارفين « .. العقل كالمطية ، يوصـــلك الى باب السلطان ، ولكن لايدخل معك عليه » .

الاستاذ أحمـــد فـــراج :

الحقيقة أننى أرجو أن يكون كلام فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذه النقطة قد أجاب عـــلى كثـــير .. وأريد أن أقـــول ان هنـــاك بعض الخواطر التى تخطر على قلوب أو عقول كثـــير من الناس ، عندما يقرأون فى كتب السيرة ، أنه حدث فى عام مولد الرسول عليه الصلاة السلام أن انشق ايوان كسرى ، وغاض ماء بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس .. الخ ، فنجد أن البعض يرددها بأسلوب التأدب مع سيرته صـــلى اللـــه عليه وسلم ، ولكنه لايتعرض لها بالنفى أو بالتأييد وان كان ينطوى على ميل أقرب للرفض وربما ذهب بعض الناس الذين لايريدون اثبات هذه الظواهر أو المعجزات الكونية ،

الى أن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس فى حاجة الى مثل هذه المعجزات الكونية لكى نتحدث عنها ، وكأنما نعتـــذر أو نبحث عن المبررات لنفى هــذه الروايات بصورة أو بأخرى ، أما وقد وضح لنا من حديث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، أن الرسول عليه الصلاه والسلام ، وهو يعيد انسجام الانسان مع الكون الساجد ، وأن كل مافى هذا الكون انما يسجد ويسبح للـــه ، غير أن الجنس الانسانى هو الذى يشذ عن الاجماع فى الخضوع والسجود للـــه ، فان مثل هذه الظواهر الكونية ، المخلوقة لله تبارك وتعالى ، ليس مستبعدا فى ميزان الايمـــان ، أن تفرح ، وأن تبتهج بمثل هذا المولد ، مولـــــد الانسان الاعظم ، عليه الصلاة والسلام ، الذى جاء ليعيد الانسانية الى رشدها ، ويضع أقدامها على الطريق السوية التى تصل بها الى الايمان الحق ، والتوحيد الحق ، ولعل حديث فضيلة الاستاذ الشيخ الشعراوى أن يغرينى باستطرادة لم تكن فى الذهن تتصل ببعض المعجزات التى رويت فى عصر البعثة ،

فى عهدالنبوة •• بعد أن بعث الرسول عليه الصلاة

والسلام ، ومنها على سبيـــل المثال لا الحصر ، أن الماء تفجر من بين أصابع رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، وأن الرسول عليه الصلاة والســـلام عندما ترك مكانه الذى كان يخطب فيه •• فى مسجده صلى اللـــه عليه وسلم ، سمع صـــوت الجذع يئن شوقا وحنينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحب أن أطرح هذه المعجزات على سبيل المثـــال ، ونحب أن نعرف رأى فضيلة الشيخ الشعراوى •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

قبل أن أجيب على هذا التساؤل ، أحب أن أنبه الأذهان ، الى أننا حين نقرأ كتاب الله ، يجب أن نقرأ كتاب الله ، على أنه كلام اللـــه ، وكلام الله ، معناه أن له ايحاءات ، لا فى كـــل جملة ، ولا فى كـــل لفظ ، ولا فى كل حـــرف ، الايحاءات تأتى ، بيقين الايمان ، وشفافية الروح المستقبلة للقرآن ، فاذا ما استقبل الانسان ، أطلعه الله على بعض كنـــــوز ذلك ، الانسان فى اعراف الناس ، هو الجنس الوحيد

الذى يتميز بالعاطفة ، والعاطفـــة هى الشىء الذى يفرح والشىء الذى يحزن ، والشىء الذى يجـــد والشىء الذى يبكى الانسان اذا حزن ، ويضحكه اذا فرح ، فهذه ظاهرة خاصة بالانسان ، آتيـــة من العواطف التى فيه ...

حينما تكلم القرآن عن قوم فرعون ، وأن الله أخرجهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين .. كذلك وأورثناها قوما آخرين، يقول الحق « .. فما بكت عليم السماء والأرض » (١) فما بكت ؟ كأن السماء تبكى ؟ نعم ، هذا البكاء فرع العاطفة ، ومادامت السماء والارض تبكى ، أفيكون عندها عاطفة ؟ لماذا تبكى السماء والارض ؟ ولماذا لا تبكى على قوم فرعون ؟ لانهم قوم كانوا غير منسجمين معها فى قضية الخضوع للحق ، فلذلك لم تبك عليهم ، فاذا جئنا بالنقيض أو المقابل ، لوجدنا القوم الذين على ضد مسلك قوم فرعون ، اذا ماتوا

---

(١) آية ٢٩ من سورة الدخان .

آو ذاهبوا ، تبكى عليهم السموات والارض ، اذا فما بكت عليهم السماء ، كأنها تبكى على قوم ، نعم ، ولذلك لما سئل الامام على عن هذا ، قال « .. اذا مات المؤمن ، بكى عليه موضعان ، موضع فى الارض وموضع فى السماء ، أما موضعه فى الارض ، فموضع مصلاه ، لأنه فقد الذاكر ، فقد المسبح ، فقد المنسجم معه فى الخضوع لربه ، لم يعد يسمع ذلك منه ، فكيف لا يبكى ، وبكى عليه موضع من السماء أيضا ، وهو مصعد عمله ألطيب ، فلم يعد ذلك المصعد يستقبل عملا طيبا ، فكأن للارض وللجماد احساسا بالعابد ، ولذلك قديما .. كنا نسمع فى اللغة .. فلان نبا به المكان ، نبا .. به المكان .. أى كره اقامته فيه ، لماذا كره اقامته فيه ؟ لأنه غير منسجم التصرف مع الوجود كله ، فهو يكرهه ، والمكان الذى يكره ، فاذا كان المكان منسجما معه ، فلا ينبو .. به ، بل يفرح به ويؤنسه ، اذا فما دامت السموات والارض لها العواطف التى تبكى ، ولا تبكى ، اذا فلا نستبعد أبدا ان يكون الوجود قد استقبل ميلاده صلى الله عليه

وسلم بفرحة ، بفرحة ابتهاج يعيد الانســـــان الى انسجامه مع ذلك الكون •

أما مسألة المعجزات الكونية ، فالمعجزات أمــور خارقة ، ومعنى أمور خارقة •• أنها غير خاضــعة لناموس الكون ، ولا لقانون الوجــود ، الكون له قانون يسير عليه ، فاذا ما جاء أمر خــــارج ذلك القانون ، فنقول أن هنــــاك حادثة جاءت وخرقت القانون وما ُدامت خرقت القانون فنتســاءل كيف يخرق القانون ، بديهى أنه لا يمكن أن يخرق القانون الا خالق الحق ســـبحانه وتعالى ، أن الانســـان أطلق القانون ، فلا يملك أن يتحم فيه ، فاذا كان يملك أن يطلق القانون أو •• لا يطلقه ، ولكنه اذا اطلق القانون ، فلا يملك أن يتحكم فيــه فاذا كان هناك انسان يجيد أن يصيب الهدف ، ومعه بندقيــة سليمة ، وفيها الرصاصة وهو يحسن التصويب ، فان له أن يصوب ويطلق أو •• لا يصوب ولا يطلق ، هو مختار فى هذا ، ولكنه حين يصع يده على الزناد ، طلق الرصاصة على الهدف ، وهو يجيد التصويب ،

فلا يستطيع أن يتحكم ف الرصاصة ، ليقول لهـــا « يا رصاصة لا تصيبى الهدف » .. فقد خـــرج القانون من يده . ولكن الحق يطلق القانون ، ويقول للقانون « قف ولا تفعل » اذا فالمعجزات هى خرق لنواميس الكون ، وخرق لقوانين الوجود ، تدلنى على أن الذى فعل ذلك ، هو الذى خلق الناموس ، وخلق الوجود ، وخلق قوانين الوجود ، ولكن هذا الخرق ان كان أمرا ماديا ، يحدث مرة واحدة ، فاذا حدثنا أن معجزات الرسل كانت كذا ، وكانت كونية كلها ، كعود الثقاب ، تشعل مرة واحدة ، وأصبحت خبرا لا سبيل الى تصديقه الا بالنقل المتواتر عن الصادقين الثقاة الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب ، ولكن اذا حدثنا عنها القرآن ، فنقول ، نعم الآن نصدق، لأن القرآن ـــ وهو أقوى وأثبت وثيقة ـــ قد حديثنا لكن لا بقاء لتلك المعجزات ، ورسول الله كما قلنـــا امتاز بمعجزة أخرى باقية ، ليست مرة واحـــدة ، ولكنها باقية الى أن تقوم الساعة وهى القرآن ، محمد رسول ـــ وتلك معجزته ، وهى القرآن ، لكن

هل معنى ذلك أن رسول الله حرم من معجزات كونية يراها المعاصرون له ، كما أعطى أصحابه الرسل ؟ لا . محمد رسول الله ، أعطاه الله المعجزات الكونية التى أعطاها لاخوانه الرسل ، ثم تميز بمعجزة أخرى باقية ، اذا فمجىء المعجزات الكونية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسوية له باخوانه من الرسل ، ومجىء المعجزة الباقية ، هى زيادة مكانته ، ومقامه على الرسل ، فاذا كان التاريخ والسيرة تحدثنا بأن معجزات حدثت ، كما قال أخى أحمد فراج ، كحنين الجذع ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وكاشباع جيش أو عدد كبير بحفنات من طعام وغير هذا ، اذا حدثنا بذلك نقول للمسلم : استقبلها بمايأتى ، أولا لست أنت أيها الغائب عن المعجزة المقصود بهذه المعجزة ، وانما المقصود بهذه هو من رآها ، لانهم كانوا فى بداية الاسلام ، وفى حاجة الى تثبيت ، وهذا التثبيت يحدث فى فترات ، القوم الذين شاهدوا هذا .. شاهدوا أن ماء نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، أيمكن أن نقول لهم

لا لم ينبع ، لا •• فهو قد نبع ، والمرادتثبيت يقينهم هم ، أما أنا ، فالقرآن كافينى حقا ، لكن هؤلاء اذا حدثونا بأخبار ـ كما وصلنا الحديث ـ فلماذا أسنع ذلك ، واخوانه صلى الله عليه وسلم ، حدثت لهم معجزات من هذا النوع ؟ فكيف أبيح للأعلى من الرسل الا يكون عنده ما عند بقية الرسل من مثل هذه المعجزات ، اذا فرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت له معجزات كونية وهذه المعجزات الكونية ، كان المقصود منها •• تثبيت ايمان من رآها ، وقد أدت مهمتها ، ثم بقيت بعد ذلك خاضعة ، فمن اتسع ظنه بمكان محمد من ربه ، ومن اتسع ظنه بصدق الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليتسع ذهنه لذلك ، ومن لم يتسع ذهنه لذلك ، ففى القرآن غناء •• أى غناء •

الاستاذ أحمد فراج :

الحقيقة سننتقل نقلة أخرى الى الموضوع الذى أثرناه فى بداية الحوار عن نزول الوحى على الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونحن نعرف أنه بعد بدء

نزول القرآن ، مضت فترة تسمى فى السيرة ، فتور الوحى ، أو فترة الوحى ، فقـــــد ظل جبريل فترة طويلة لا يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه .

وربما يثور فى ذهن أى منا ـــ بمقياسنا البشرى ـــ أن مجرد نزول الوحى على رسول الله صـــلى الله عليهوسلم لايجعله، وهو فى بداية العهد بالنبوة ،فى وضع يسمح له بتحمل انقطاع الوحى فترة ، كالتى طال توقف الوحى خلالها ، وربما ـــ بمقياسنا البشرى أيضا نقول ـــ انه كان ممكنا أن ينـــزل الوحى مرة واثنتين وثلاث الى أن يثبت الرسول ـــ بل نكاد نقول يتثبت ـــ وبعد ذلك يمتحن اذا كان المقصـــود بفتور الوحى ،هو المتحان أو كان المقصود غير ذلك، لكن الذى حدث ، والصورة التى أمامنا ، والموقف الذى نعرفه ، أنه بعد بداية النزول ، فتر اوحى ، فما هو تحليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لهذه المسألة ، وفهمه لها ، وخاصة أن القرآن كان له

تصوير فيها .. « ماودعك ربك ، وما قلى » [1] .

ونرجو في الشرح أن تكون معنا سورة « الضحى » .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

معنى الوحى ، اعلام بخفاء ، أى بطريقة مستورة اعلام « بخفاء » .. أى ليس بوضوح ، هذا الوحى يأخذ معانى متعددة ، يأتى الوحى من الله لكل أجناس الكون .. « يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها » [2] .. أوحى للارض ، ثم أوحى للنبات ، وأوحى للحيوان .. « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » [3] .. وأوحى الله الى الملائكة .. « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » [4] وأوحى الله الى الرسل والانبياء ، وأوحى الله الى

---

(١) آية ٣ من سورة الضحى .
(٢) آية ٤ ـ ٥ من سورة الزلزلة .
(٣) آية ٦٨ من النحل .
(٤) آية ١٢ من سورة الانفال .

بعض الصالحين •• « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى » [1] •• اذا مرة يطلق الوحى ، فيراد به الاعلام بخفاء ، من أى معلم ، لأن الشياطين أيضا لهم وحى •• « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » [2] لكن اذا اطلقت كلمة الوحى — انصرفت الى الوحى من الله الى الرسول، وكل أنواع الوحى الاخرى انتهت ، والوحى من الله الى الرسول ، يحدده الحق سبحانه وتعالى فى ثلاث وسائل ، الوسيلة الاولى ، أن يقذف فى قلبه المعنى الدقيق فى خاطره ، الوسيلة الثانية أن يكلمه من وراء حجاب ، الوسيلة الثالثة ، أن يرسل رسوله وهو جبريل فيوحى باذنه مايشاء ، « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا •• » الهاما يقذفه فى القلب « أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، فيوحى باذنه ما يشاء » [3] الرسول صلى الله عليه وسلم أوحى اليه بهذه الطرق الثلاث ، أوحى اليه بأن

---

(١) آية ١١١ من سورة المائدة .

(٢) آية ١٢١ من سورة الانعام .

(٣) آية ٥١ من سورة الشورى

فذف فى روعه ، هذا هو الأول ، وأوحى اليه بأن الله
كلمه حينما فرض عليه الصلاة ، وأوحى اليه بواسطة
الملك يرسله له . الا أن القرآن لم يثبت الا بالطريق
الاخير . الذى هو عن طريق الملك ، لماذا ، لان القذف
فى الروع ، قد يتهم الانسان معه بأنه خاطر بشرى
واذا كان كلاما من وراء حجاب ، فربما يقال ان شيئا
تمثل له ، انما حين يأتى ملك رسول ويختلط بالبشر ،
ويحدث فى تكوينه صلى الله عليه وسلم انفعال
كيماوى خاص ، بحيث يرتعد ، ويرتعش ، ويثقل
بحيث اذا كان على دابة بركت به مثلا فهذه ظاهرة
كيماوية فى نفسه ، فاذا جاءت هذه الظاهرة بذلك
الشكل ، فلاشك أنه أمر غير عادى ، فكان الوحى
على رسول الله بهذه المثابة ، فاذا كان الوحى التقاء
ملك ــ والملك له طبيعة ــ ببشر ــ والبشر له طبيعة ــ
ومادامت الطبيعة النورانية الملكية ستلتقى بالبشرية ،
فلا مناص من أمرين ، اما أن تتحول الملكية الى
بشرية ، وتبقى البشرية على حالها ، وذلك ما كان
يحدث ، حين يتشكل جبريل بصورة انسان ، فيأتى ،

فيسأل رسول الله ، فيجيبه وبعد ذلك يقول •• هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمور دينــكم ، وفى ذلك ليس هناك اجهاد على رسول الله ، لان رســول الله فى بشريته العادية ،وفى انسجامه التكوينى والكيماوى، واما أن يحدث •• بأن ينتقل الرسول من بشريته الى ملكية تستقبل عن الملك •

هذا التفاعل الذى يحدث ، تكون له آثار عضوية فى نفسه •• وان جبينه ليتفصد عرقا فى الليلة شديدة البرد •

اذا فالعملية كيماوية فى نفسه ، ويسمع صلصلة الجرس ايذانا بالوحى ، ويسمع أصحابه حول رأسه، دويا كدوى النحل ، ويرتعش ، اذا هذا التفاعل ، يدل على أن محمدا يعالج انفصــالا من البشرية ، حتى يستطيع أن تكون فيه روحانية ، أهل للتلقى عن الملك ، فاذا ما انفصل عنه الملك ، عاد الى بشريته ، انما عاد مجهدا بدليل أنه قال •• « زملونى •• دثرونى » ويقول حين وصف صلى الله عليه وسلم لقاءه الاول مع جبريل عليه الصلاة السلام « غطنى

حتى بلـــغ منى الجهـد » اذا فهذه عمليـة كان من الصــعب جدا على مادية رســول الله ، وعــلى بشريته أن يســتقبل الملك بهـــذه الصـــورة ، الصــورة الاندماجية التى تحدث بأن يكون التحول فى كيماوية رسول الله وبشريته ليلتقى بالملك ، ثم يفصم الملك عنه فيعود ، فتكون عمليـــة مقلقة •• متعبة • ولكن الانسان منا حين يتعب فى أمر من الامور ، ويرتاح بعد التعب ، وتبقى له لذة ما ظفر به وقت التعب ، فان نفسه تحدثه بأنه ، ياليت هذا التعب يأتى مرة ثانية ، فتهون عليه المشقات ، اذا فالشوق فى ناحية المستقبل ، هو الذى يعينه على أن يفتر الوحى عن رسول الله •

تحمل صعاب الخطوة ناحية الاستقبال ، فكان ولابد

لتبقى حلاوة الوحى •

ولتزول متاعب الوحى •• فيتشوق رسول اللهالى الوحى من جديد ، وحين ينشوق رسول اللهّ ، فان هذا الشوق يعطيه طاقة جديدة فى استقبال هــذا المرتقب ، فاذا ما استقبل هذا التعب بعد ذلك ، لم

نجد الصورة التى ذكروها ، لم نجد الالم ، لم نجده بعد كل وحى يقول « •• زملونى ، ولادثرونى •• » لماذا ؟ لانه اشتاق بطبيعته الى أن يأتى ذلك الوحى. طبيعة هذا الشوق ، تجعله يتغلب ، وينسى متاعبه المادية ، اذا فرسول الله عليه الصلاة والسلام حين فتر عنه الوحى ، انما كان ليرفع الله عنه ما أتعبه من المادية التى كانت تتحول فتعد لتتلقى عن الملك. فحينما يهدأ ويسكن وتبقى حلاوة الوحى فى نفسه . فانه يصبح هو نفسه الذى يشتاق الى الوحى ، واذا ما اشتاق الى الوحى ، أصبحت عنده طاقة ، وهـذه الطاقة تجعله لا يعترف بأى متاعب ، ومادام لايعترف بمتاعب ، فهو يستقبل الشىء استقبال المشوق

العجيب مسلك الكفار حين فتر الوحى ، فقد كانوا يكذبونه فى أنه مبلغ عن ربه ، ولما فتر الوحى ، قالوا ان رب محمد قد قلاه ، لماذا اعتبروا آنذاك أن لمحمد ربا ؟

ساعة الهجر اعتبروا أن له ربا ، وساعة الوصل.

كانوا يقولون « ٠٠ لا ٠٠ انه كذاب ٠٠ » لماذا ؟ لان هذا يشبع حسدهم ويشبع حقدهم ، فالحق سبحانه وتعالى شاء أن يردعلى ذلك ، ردا كونيا ردا بشىء متفق عليه ، هذا المتفق عليه يستهله بقـــوله « ٠٠ والضحى والليل ، اذا سجى ، ماودعك ربك ، وماقلى» ونجد هنا قسما :

« والضحى ، والليل اذا سجى » ٠

حين يقسم الحق بالضحى والليل اذا سجى ، فقد أقسم بمتقابلين ، ضحوة وليل ، والضحوة محـــل الكدح ، كدح العمل والتعب والنصب ، والليل مكان السكون والراحة ، فكأن الحق يلفت الى قضـــية وجودية ، هذه القضية الوجودية ، هى أننـــا فى الأحوال العادية نتعب نهارا فى ضحانا ، ويأتى الليل فنحتاج الى أن نسكن ، والى أن نرتاح ، اذا فالسكون هو الراحة من كل أمر مجهد ٠٠ أمر طبيعى ، وليس مجىء الليل بعد الضحى معناه ، أن الضحى لايأتى ، ولكن معناه ٠٠ أننا نهدأ ، ونسكن لنستقبل ضحى الغد بنشاط ، لنستقبله بحيوية ، فيقول ٠٠ الآيـــة

الكونية موجودة ، « والضحى ، والليل اذا سجى ما ودعك ربك ، وما قلى ٠٠ » وتجد هنا العبارة المنبئة بجمال الأداء فى الأسلوب من الله لمحمد « ٠٠ ما ودعك » تجد هنا الضمير يعود على محمد ٠٠ فعل ٠ «ماودعك ٠٠ » لأن التوديع قد يكون للحبيب ، ودعت حبيبك وسافر ، ولكن القلى لايكون الا لعدو ، فلما جاء — ولو مع النفى — قال «ماودعك» ولم يقل، وماقلاك ٠٠ بل : «وما قلى» فقط ، ولم « ولم يقل، بالكاف ، حتى مع النفس ، فكأنه مع التوديع ، جاء بالضمير ، ومع القلى لم يأت بالضمير — فكأنه يقول « ٠٠ يا من تقولون ، ان رب محمد قد قلاه أنتم مخطئون ، لأنكم لم تلتفتوا الى مظاهر الكون فمظاهر الكون ٠

ضحى فيه عمل ، ضحى فيه اجهاد ٠

وليل فيه سكون ٠ ففترة الوحى سكون ، يهدأ بعده صلى الله عليه وسلم من مشقات ومتاعب الوحى، حتى يستأنف نشاطه من جديد ، ولذلك سيقول له « وللآخرة خير لك من الاولى ٠٠ » وتظنون أن

« الآخرة » هى « الدار الآخرة » لكن •• المـــرة الأخيرة فى الوحى » خير لك من « الأولى » •

لانها هى التى ستطول ، وستمتد الى أن يكمــل الله لك هذه الرسالة •

وبعد ذلك تجد العجب فى هذه السورة ، انهــا جاءت على طريقة العرب •• بما لم يأت به العرب ، الآية فيها قسم وهو :

« •• والضحى ، والليل ، اذا سجى •• »

ثم فيها بعد ذلك تسع آيات ، لو رتبت هـــذه التسع الآيات ، فقسمتها الى ثلاثة •• واحـــد ، اثنين ،ثلاثة، ثم أتيت بالآية الرابعة ووضعتها تحت الاولى والخامسة تحت الثانية والسادســــة تحت الثالثة ، ثم أتيت بالآية السابعة ، ووضـــعتها تحت الرابعة ، فالآية الثامنة تحت الخامســــة ، فالآية التاسعة تحت السادسة ، فيكون لدينا تسع آيات ـــ طبقا للجدول التالى :

والضحى والليل اذا سجى

١ ـ ماودعك ربك وماقلى	٢ ـ وللآخرة خير لك من الأولى	٣ ـ ولسوف يعطيك ربك فترضى
٤ ـ ألم يجدك يتيما فآوى	٥ ـ ووجدك ضالا فهدى	٦ ـ ووجدك عائلا فاغنى
٧ ـ فأما اليتيم فلا تقهر	٨ ـ وأما السائل فلا تنهر	٩ ـ وأما بنعمة ربك فحدث .

اذا نظرنا رأسيا فى الجدول السابق نجـد الآيه الأولى ، تحتها الآية الرابعة ، تحتها الآية السابعة، ونجد الآية الثانية •• تحتها الآية الخامسة •• وبعدها الآية الثامنة ، وتجد الآية الثالثة ، بعدها الآية السادسة ، بعدها الآية التاسعة ، وتجـد ما يلى •

فى الثلاث الآيات الاولى أحكام صادرة ، والآيات الثلاثة الثانية دليـل ، والآيات الثلاثة الثالثة ـ مطلوبات ، اذا فالسورة فيها تسع آيات بعد صدر السورة وما تضمه من قسم فى قوله تعـالى ، « والضحى والليل اذا سجى » فأولا « ماودعك ربك وماقلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسـوف يعطيك ربك فترضى » ، هذه كلها وعد من الله •

فاذا جئت الى الآية الأولى « •• ماودعك ربك وما قلى» •• تأتى الآية الرابعة ـ وهى التى تحتها فى الجدول ـ ، فماذا تقول ؟ ألم يجدك يتيما فآوى » اذن كيف يتركك ، وكيف يودعك ، وهو وجدك يتيما ، قبل أن تكون له حاجة عندك فى أن تكون رسولا ، إذا

كنت يتيما ، ولم يودعك ، ولم يقليك فكيف اذا أرسلك رسولا ، أيمكن أن يكون قد قلاك ، ومادام الله قد صنع معك ذلك ، .. ما ودعك وما قلاك .. بدليل أنه وجدهيتيما فآواه .. «فأما اليتيم فلا تقهر ..» فاذا الثلاث الآيات ، وعد ، ودليل ، ومطلوب ، فاذا نظرت الى الآيات التى بعد ذلك ، تجدها بهذا الشكل أيضا ، اذا أقرا السورة على أنها قسم ، وتسع آيات الثلاثة الاولى عبارة عن وعد من الله .. واخبار ، الآيات الثلاثة الثانية انما هى أدلة على كـــذبهم ، الآيات الثلاثة مطلوبات لهذه الاشياء .

الإعجاز البياني والعلمي للقرآن

الاستاذ أحمد فراج :

القرآن •• اعجازه البيانى والعلمى •

موضوع هذا الحوار مع فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى يتصل بالقــرآن الكريم ، والاعجاز القرآنى ، وكان لنا لقاء مع فضيلة الاستاذ العالم الازهرى الشيخ محمد متولى الشعراوى . عند الزيارة القصيرة التى قام بها الى القاهرة ، عائدا من عمله بجامعة الملك عبد العزيز بالملكة العربيـــة السعودية ، وكان الحديث يدور حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذه الصفحات يدور حوارنا حول معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهى القرآن ، والحقيقة أن وجوه الاعجاز القرغآنى تتعدد ، وتتنوع ، قد نتناول جانبا أو أكثر منها ، وفى نفس الوقت ننتهز الفرصة ، لنتناول بعض الاساليب القرآنية ، وبعض النماذج منها ، ونحاول أن نتناول فيها الأسلوب القرآنى ، ومعالجته لبعض القضايا

التى يتعرض لها العلم ، مع علمنا بما يكتنف هـــذا الموضوع من اختلاف فى الآراء ، ونحن نعـــرف أن الناس قد بعدت صلتهم باللغة العربية ، وضمرت ملكتهم اللغوية ، ولم تعد عندهم القدرة ـــ كالصدر الأول من المسلمين أو العرب ـــ على تذوق اللغـــة العربية والاعجاز البيانى للقرآن . فهل نحن اليوم فى ضوء هذه الاعتبارات فى حاجـــة الى التركيز على الاعجاز العلمى للقرآن ، حين نعرض القـــرآن أو ندعو الناس اليه ، أم أن الاعجاز البيانى ، لايزال له الدور الذى ينبغى أن يأخذ حقه ، ويأخذ منـــا الرعاية؟ هذه قضية . وأخرى علىجانب من الأهمية أيضا ، هى انه اذا كان الاعجاز البيانى للقرآن ، قائما الى يوم تقوم الساعة ، فما هو موقف الذين لا يعرفون العربية ، ولا يجيدونها وليست لغـــة لهم؟ وماذا يكون مجال الاعجاز بالنسبة لهم بازاء هـــذه الرسالة ، وازاء هذا الكتاب ؟ هذه بعض الموضوعات التى نرجو أن نطرحها مع فضيلة الاستاذ الجليل محمد متولى الشعراوى ، ولعل النقطة التى

نرجو أن نبتدىء بها بين هذه النقط تتصل بالاعجاز بصفة عامة ، والاعجاز البيانى بصفة خاصة •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمدك ربى ، واستعينك وأصلى وأسلم على سيد خلقك سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وبعد •• فان القرآن ، هو كلام الله ، والكون خلق الله ، ومادام الذى خلق الكون ، هو الذى قال ذلك الكلام ، فيجب بداهة ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة كونية ، وفى ذلك يلفتنا الحق بقوله « •• ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١) ومادام القرآن من الله ، فحقائقه يجب أن تنسجم مع حقائق الكون، والقرآن جاء كتاب منهج ومعجزة ، ومعنى معجزة، أنه أمر تحدى به العرب فيما نبغوا فيه ، والعرب أمة كان لها غرامبالبيان وبالكلمة والأداء ، ماعرفنا

---

(١) آية ٨٢ من سورة النساء •

أمة من الأمة ــ كالعرب ــ صنعت لأساليبها معارض واسواقا ويجتمع الشعراء والخطباء ليتفاضلوا فيما بينهم فى الاداء البلاغى ، ويأتى حكام ليحكموا لهذا على هذا • كل ذلك يعطينا أبلغ الدلالة عى أن فى مقدمة ما تميزت به الامة العربية من مواهب موهبة ابيان • ولازال الاعجاز مشروطا فيه أن يتحدى الله القوم الذين يرسل اليهم الرسول فى أهم ما نبعوا فيه ، فكان ولابد أن تكون معجزة محمد صلى الله عليه وسلم هى الأداء البيانى فى القرآن ، ومع الأداء البيانى ، السمو المنهجى فى ذلك البيان ، العرب حينما استقبلوا القرآن ، تحداهم الله أن يأتوا بمثله ، فلما عجزوا ، تحداهم أن يأتوا بعشر سور ، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة ، وهذا ترقى فى الاعجاز ، وان كان فى ظاهره تقليل للقدر المطلوب أن يأتوا به ردا على ذلك الاعجاز ، لانك اذا ضيقت على الخصم المطلوب منه ، فقد ترقيت معه فى حدود اعجازه • العرب أول الأمر استقبلوا هذه المسألة لا بأذواقهم البيانية ، ولا

بملكاتهم الفصاحية ، ولكنهم استقبلوا ذلك ، بالانكار أن يكون محمـــد هذا هو الرســول بدليـــــل •• « وقالوا •• لولا نزل هـــذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (١) •• اذا ، فلا اعتراض لهم على القرآن ، والقرآن قد أخذ بألبابهم ، وأخذ بأفكارهم ، وانما الخلاف فقط ، فى لماذا هذا الرسول بالذات ؟ اذا فقد نقلوا الموضوع عن أصله ، لان الموضوع أنـــه تحداهم بالقرآن ، فماداموا قد قالوا •• «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» •• فكأن الخلاف فى من جاء على يده القرآن •

الاستاذ أحمد فراج :

هذا حدث من بعض الفئات •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

نعم هذا من بعض الفئات من الكافرين ، وبعد ذلك نجدهم يترددون ، فمرة يقولون سحر ، فنسألهم ••

---

(٢) آية ٣١ من سورة الزخرف •

أهو سحر؟يقولون •• بلى سحر •• فنقول لهم فهل المسحور له خيار مع الساحر ؟ اذا أراد الساحر أن يسحر انسانا •• أيستطيع المسحور أن يتـأبى على ذلك السحر ؟ فاذا كان قد سحر قوما ، فلماذا لم يسحركم أيها المخالفون ؟ اذا فى ذلك نرد عليهم ، فى أنه ليس بسحر ، ولو كان سحرا ، لسحركم أنتم أيضا ، اذا فهو ليس بسحر •

ومرة أخرى يقولون انه شعر ، فنقـول قارنوا أسلوب القرآن ، وأسلوب الشعر ـ وأنتم أبصر الناس بالاساليب ـ أذلك القرآن من نوع الشعر ؟

ومرة يقولون كهانة ، نقول فقارنوا بين أسلوب الكهانة ، وبين أسلوب القرآن ، سجع القرآن قارنوا بين هذا •• وهذا •

الا أن القرآن حين يعرض ذلك ، يعرضه عرضـا مدللا تدليلا تقتنع به النفس الطبيعية الصافية ، فماذا يقول •• « وماهو بقول شاعر ، قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون » (١) •• هنـا

---

(١) آية ٤١ ـ ٤٢ من سورة الحاقه •

يختم الآية الأولى •• بقوله « تؤمنون » والآيــة الثانية يختمها بقوله « تذكرون » ، مع أن المقــام واحد ، وأى انسان بسيط فى الاساليب ، يستطيع ان جاء الىأسلوب القرآن وأسلوبالشعر ، فلايمكن أن يقول ان هذا القرآن من الشعر ، لأن الشعر له وزن ومقفى •• وله تفاعيل وله موسيقاه الخاصة ، وهذا ليس منه ، اذا قلت ، ان هذا القرآن شعر ، فأنت ليس عندك ايمان قطعا •

ولكن أسلوب الكهانة أسلوب نثر ، وفيه ســجع والقرآن نثر ، وفيه سجع ، ولكن الذى يتـــذكر موضوعات القرآن يجد فارقا كبيرا ، اذا فذلك هو التذكر الذى يأتى به •

وبعد ذلك •• تورطوا ورطة كبيرة جدا فى أنهم انوا عما فى نفوسهم ، لان أسلوب القـــرآن قد خذهم ، وقد غلبهم ، وقد خروا له ساجدين ، فماذا نالوا •• « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعـــذاب

أليم » (1) .. أذلك منطق يقوله عاقل؟العاقل يقول ان كان هذا هو الحق من عندك ، فاهدنا اليـــه .. وقالوا أيضا .. «ان نتبع الهدى معك ، نتخطف من أرضنا » (2) .. اذا فقد أقروا أخيرا أنه جـــاء بالهدى ، ولكنهم خافوا ان اتبعوه ، أن يتخطفوا ، اذا فهم تورطوا ، وبعد ذلك غلبهم الحق ، فقـــالوا الكلمة الصريحة ، الاسلوب البيانى للقرآن ، مادام جاء لأمة بيانية ، فلابد أن يكون مستوعبا للأدبـــاء البيانى بكل صوره ، وبكل معطياته ..

الأسلوب البيانى فى القرآن تجده حينما يعـــرض قضية من القضايا يعرضها عرض الله ، الخبير بحقائق النفس ، والقادر على ايراد الخصائص الكلامية التى تعبر عن حقائق النفس ، لأننا اذا جئنـــا لحفل من الحفلات واستمعنا لخطباء متعددين وأعجبنا بواحد فنحن نصفق له كثيرا ، ونستعيده ، وآخر لا يعجبنا

---

(1) آية 32 من سورة الانفال .

(2) آية 57 من سورة القصص .

فلا يستوقفنا ، لماذا؟ لأن المتكلم الذى أعجبنـــا بـه استطاع أن يلمس أوتار نفوسنا ، ويأتى بالقدره التى عنده من الاساليب التى يستطيع بها أن يقنعنـــا ويهيج مشاعرنا ويستميلنا ، فاذا كان الانسان يريد أن يهيج جمهورا فلابد أن يكون عارفا بخواطره ، وعنده قدرة من الاساليب ، بحيث يستطيع أن يهيج هذه الخواطر ، وأن يستميلها ، ولكن علم الانسان محدود بخواطر النفوس ، وقدرة الانسان محدودة بأساليب الكلام ، فاذا كان الله ، هو الذى يتكلم ، أتخفى عليه من خواطر نفوس الناس أشـــياء ؟ والجواب أنها لا تخفى عليه قطعا . حين يكون عالما بالخاطرة ، أيعجز الحق القادر ، عن الاسلوب الذى يقنع كل النفوس ؟ لا يعجز . اذا فمنطقى أن يكون كلام الله أبلغ كلام . وبعد ذلك يأتى فى المســتوى الذى دونه ، كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، القرآن حينما عرض هذه الأشياء ، تجد أنه يفترق فى أسلوبه حين يعالج معنى واحدا ، فيظن الناس .. أن القرآن يتفنن فى التعبير ، ونجد معنى يأتى مرة بعبارة وفى

نفس المعنى يأتى بعبارة أخرى ، فهل هناك فنون أو تفننات فى التعبير ؟ نقو لا •• نحن ننظر الى المعنى اجماليا لكن حين نتناول المعنى بكل زواياه ولقطاته ، نجد أن هذه الآية ، لا يصلحها الا ذلك اللفظ وتلك الآية التى فى مثل معناها ، لايصلحها الا ذلك اللفظ•

الحق سبحانه وتعالى يعرض مثلا قضية شـــائعة عند الجاهلية ، وهى أنهم كانوا يقتلون أولادهم ، فيقول •• « ولا تقتلوا أولادكم من امـــلاق ، نحن نرزقكم ، واياهم » •• ويأتى فى آية ثانية ويقول •• « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم ، واياكم » (٢) • ففى الآية الاولى ، قدم رزق المخاطبين على رزق أولادهم ، وفى الآية الثانية ، قدم رزق أولادهم على رزقهم ، نقول : المعنى ليس واحدا ، المعنى قد يكون فى جملته واحدا ، انما فى تفصـــيله والمخـــاطب به مختلف •• لماذا ؟ لانك لو نظرت الى

---

(١) آية ١٥١ من سورة الانعام •

(٢) آية ٣١ من سورة الاسراء •

عجز كل آية •• أى الى آخر كل آية مع صــدرها ، لوجدت أن هذا العجز مطلوب لذلك الصدر • كيف ؟ لأنه يقول فى الآية الأولى •• « ولا تقتلوا أولادكم من املاق » ••• فكأن الفقر موجود بالفعل ، ومادام الفقر موجــودا بالفعل فشغل الانسان يكون برزق نفسه ، قبل أن يشغل برزق ولده وهنا يطمئنه الحق على رزق نفســه ، فيقول ••• « نحن نرزقكم » ــ يا أصــحاب الاملاق ــ « واياهم » •• ونأتى برزقهم أيضا ، لأنه مادام الفقر موجودا ، فشــغل الانسان برزق نفسه موجود قبل أن يشــغل برزق ولده فيقول « نحن نرزقكم واياهم » •• لــكن اذا قال الحق « ولا تقتلوا أولادكم خشــــية املاق » أى خــوفا من فقر ، فكأن الفقر غير موجود ولكن أنت تخاف ان جــاء لك أولاد ، أن يأتى الفقر مــع الأولاد ، فيقول لك •• لا ، أنا سأحضرهم برزقهم•• « نحن نرزقهم واياكم » اذا المعنى ليس واحــدا ، المعنى قد يبدو فى جملته واحدا لأنه فى قضــية قتل الأولاد والفقر ، نقول : ، لا ، المخاطب مختلف ، مرة يكون فقيرا بالفعل ، وذلك شــغله برزقه ، قبل أن

يشغل برزق ولده ، ومرة يكون غنيا ولكنه يخاف أن يأتى الفقر اذا جاء له الولد ، فيكون شـغله برزق ولده •• فتكون الآية « نحن نرزقهم » •• أى نأتيهم برزقهم معهم ، اذا فالأسلوب مختلف •

ماذا عن غير العرب ؟

الأسلوب القرآنى صحيح أنه معجز للعرب ، ولكن الدعو ةالاسلامية ليست دعوة للعرب فقط ، ومادامت المعجزة هى شهادة لكل مأمور بها ، بأن ذلك من عند الله ، فهذا الذى لايفهم العربية ، أو الرجل الذى تضاءلت ملكته ، أو كما قال أخى أحمد ، ضـمرت فسقطت فليس لديه القدرة عليها ، كيف يكون اعجاز القرآن بالنسبة له ؟ نقول له اعجاز القرآن بالنسبة لهذا اعجاز منهجى ، بمعنى أننا نرى المناهج التى جاء بها القرآن ، أى اننا نرى الغيبيات والاشـياء التى تجد بعد ذلك ، وجاء بها ، بمعنى أن نبقى على الأسلوب البيانى فى القرآن وانسجامه مع الحقائق الكونية التى يظهرها النشاط الذهنى فيما بعد ، اذا •• فالاعجاز البيانى سيظل معنا • كيف يكون هـذا ؟

القرآن والسمع والأبصـــار :

القـــرآن مثـــلا نجـــده يعرض قضية فى وظائف الاعضاء ، ووظائف الأعضاء هذه عرفناها حديثا ، ما وظيفة السمع وما وظيفة البصر ، وما وظيفة العقل ، وبقية الأعضاء ؟ حين يتناول القرآن هذه المســألة ، نجــده يتناولها •• تناولا بيانيا لكنه بيان موافق لما انتهى اليه النشـــاط الذهنى فى الكون من حقـــائق علمية ، فماذا قال مثلا ؟ نجد أشهر قضية فى هذا ، قضية الانسان ووسائل علمه •• « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ، لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصـــار والافئدة ، لعلكم تشـــكرون »(١) اذا أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، ولكنه خلق لنا وسائل العلم ، ووسائل العلم هذه هى السمع ، نسمع ، والبصر نرى ، ثم ينشأ من المحسات أمور عقلية ، وأمور وجدانية ، وأمور قلبية ، اذا مراحل العلم تأتى محسات ، وهذا كشأن الطفل ، أولا يدرك الأشياء المحسة ثم تتراكم الأشياء المحســة فيكون

---

(١) آية رقم ٧٨ من سورة النحل •

منها معلومات عقلية فنجد القرآن يقول « • والله أخرجكم من بطون أمهاتاكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • » وهى هنا مرتبة ترتيبا كالواقع تماما • فنجد أن أول مانلاحظه هو أن القرآن حينما تكلم عن أعضاء المعرفة فى الانسان ، تكلم عن السمع والبصر والفؤاد ، والقرآن كله بهذا الترتيب « ان السمع والبصر والفؤاد » (١) •• « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم » (٢) •• كلها مرتبة هذا الترتيب • عندما برز الكلام العلمى أو الحقائق العلمية ، قال لنا علماء وظائف الأعضاء ان الانسان أول مايولد تكون أول حاسة من حواسه تؤدى مهمتها هى حاسة الأذن ، ثم ان العين تؤدى مهمتها فى ظرف عشرة أيام ، فأنت اذا جئت الى الوليد المولود ، ومددت أصبعك أمام عينيه فلا يرمش لان عينيه لم تؤد مهمتها بعد ، فلا يرى شيئا ، ولكن اذا جئت وأطلقت صوتا فىأذنهفانه

---

(١) آية ٣٦ من سورة الاسراء •

(٢) آية ٢٢ من سورة فصلت •

يحدث عنده انفعال ، يدل على أنه اســتقبل شيئا ، اذا أذنه هى أول شىء يؤدى مهمته • فحينما يتحدث الحــق عن الســمع والبصر •• فيكون دل على أن السمع يؤدى مهمته أولا ، وبعد ذلك البصر يؤدى مهمتــه ثانيا ، وبعد ذلك تتكون المعلومات القلبية والمعلومات العقلية بعد ذلك ، بلا شذوذ فى أى آية •

الاستاذ أحمد فراج :

لماذا السمع بالمفرد والابصار بالجمع ومتى الاستثناء ؟

فضيلة الشيخ الشعراوى

نلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن هذا ، خالف بين الســمع والبصر ، كيف هذا ؟ وماذا قال ؟ « وجعل لكم السمع والابصــار •• » [1] •• فالســمع مفرد دائما ، والأبصــار مجموعة مع أن المفروض فى تصــورنا البشرى وفهمنا أن يقــول « السمع والبصر » •• أو « الأسماع والأبصار » ••

---

(١) آية ٧٨ من سورة النحل •

فهو قد رتبهم الترتيب الطبيعى ولكن لماذا قال ذلك مفرد ، وذلك جمع ، نقول والله أعلم : لان استقبال الأذن للمسموع ، لاخيار للانسان فى أن يمنع أذنه أن تسمع بشىء موجود فيها ، أما العين ، فلك خيار ألا ترى مناظر موجودة أمامك ، لك أن تغمض عينيك فلا تراها لكن ليس عندك شىء فى أذنك بحيث يسد أذنك ، فلا تسمع ، فاذا ماجاء صوت فى مجموع لا يملك الناس أبدا الا يسمعوه جميعا • لكن مرئيــا من المرائى ، هذا يراه بفتح عينه ، وذلك يغمض فلا يرى ، اذا فما دام الأمر ، أمر سمع ومســموع ، فلا خيـــار للانســان الا أن يكون المســموع فى الجماعة واحــدا ، اذا فالســمع واحد لــكن الأبصار قد تتعدد فى مرائيهــا ، هــذا يبصر ذلك ، وذلك لايبصر ، لأن هناك تحكما فى العضــو نفسه ، بحيث يرى أو •• لايــرى ، أما الأذن ، فلا بد أن تأتى بشىء آخر غير الأذن ، فاما أن تضع أصابعك فى أذنيك ، أو أن تحضر قطعة من القطن وتضــعها فيها أو ما الى ذلك • لكن اذا جاء انســان وصرخ ، فيكون سمعنا واحدا بالنســبة للمســموع ، ولكن

مرائينا متعددة بالنسبة للمرائى ، فذلك يرى هذا .
وهذا يرى ذلك ، أما السمع فلا خيار لأحد فيه .
لذلك جاء السمع مفردا دائما .

وشىء آخر ، لم نجد الابصار مفرده الا فى آية واحدة .. « ان السمع والبصر » ولم يقل .. « والأبصار » .. « ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » (١) هذه هى الآية الوحيدة التى أفرد البصر فيها ، لماذا ؟ نقول والله أعلم : « لان الكلام هنا عن المسئولية الذاتية .. » والمسئولية الذاتيه مسئولية فردية ، فيكون سمعى وبصرى وحده ، فأنا لست مسئولا عن ابصار غيرى ، انما مسئول عن بصرى وحده ، اذا فلابد أن يفرد البصر هنا ، اذا فما دام الأمر كذلك ، والحقائق العلمية أثبتت لك هذا ، فيكون الاسلوب الادائى للقرآن مواكبا للحقائق العلمية ، وعلى مقتضاها .

---

(٢) آية رقم ٣٦ من سورة الاسراء .

وأخرى تستحق أن نتوقف عندهـا وقفة متأملة ، هى أن الحق سبحانه وتعالى لم يقدم البصر علـى السـمع الا فى آية واحدة وهى •• « ربنا أبصرنا وسمعنا » • [1] يوم القيامة « •• أبصرنا وسمعنا » لماذا تغير هذا النظام ؟ فالنظام كان السمع دائما أولا يليه البصر ؟ لأن أول ما يفجأ من مشاهد القيامة هو مرئى لا مسـموع عندما تقوم القيامة ، فما الذى يفجأنا ؟ نرى أولا ، ثم نسمع ثانيا ، فيكون منطقيا مع وقته ومع واقعه •

وبعد ذلك نجد هنا عجيبة من العجب ، أن السـمع هـذا هو الحاسـة الوحيدة التى تؤدى مهمتها عند النوم ، العين تغمض ولكن الاذن مسـتقبلة دائما لماذا ؟ لان بها الاستدعاء ••

الأستاذ أحمد فراج :

هل هذا يفسر لنا معجزة أهل الكهف ••

---

(١) آية ١٢ من سورة السجده •

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

سأتى الكلام عنها فيما بعد ، فما دام السـمع يؤدى مهمته أداء أوليا فيكون هو الحاسة المصاحبة للانسان دائما لأنها للاستدعاء ، فما دامت هى الحاسة المصاحبة للانسان فبالليل لا تتعطل الأذن وانما العين هى التى تتعطل ، فنجد القرآن حينما يتكلم عن ذلك – حتى نرى خدمة الاسـلوب الادائى للبيان مع الحقائق العلمية – نجد الحق سبحانه وتعالى حينما يتكلم عن ظاهرة الليل والنهار ، ويقول ان هذه نعمة من النعم ، أنه جعل الليل لتسكنوا فيه والنهـار لتبتغوا من الفضل وتكدحوا فيه ، يقول « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء » .. ثم فى آخر الآية يقول « أفلا تسمعون » (١) هذه واحدة ، وبعد ذلك يقول « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار – المقابل – سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بليل

---

(١) آية ٧١ من سورة القصص .

تســـكنون فيه » وفى آخر الآية يقــول •• « آفلا تبصرون » (١) لمــاذا فى الآية الاولى قـــال « أفلا تسمعون » وفى الآية التانية قال « أفلا تبصرون » والمقام •• مقام امتنان واحد ، قالوا •• لأنه قال فى الآية الاولى •• أنا سأجعل الليل سرمدا •• ومادام الليل سرمدا فتكون وسيلة الادراك هى الأذن •• « أفلا تسمعون » •• وليست العين ، لكن فى النهار وســــيلة الادراك الاولى تكون العــين ، فمـــع النهـــار يقــول « أفلا تبصرون » ومـــع الليل يقول « أفلا تسمعون »اذا فهذا اعجاز بيانى عــال متمش مع الحقائق العلمية التى جدت • وما دامت الأذن تؤدى مهمتها دائما حتى مع الانسان النائم فنقول الآن كما أشار الأخ أحمـــد أننا نستطيع أن ندرك لماذا حينما عرض الحق سبحانه وتعالى قصة أهل الكهف نجد أنه فى هذه القصـــة يريد اللـــه أن ينيمهم مدة طويلة ، وهذا النوم لمدة طويلة يأتى على غير مألوف فى قانون البشر ، فالذى نام قسطا وافيا

---

(٢) آية ٧٢ من سورة القصص •

نوقظه أى حـــركة ، وهم قوم فى كهف ، والكهف فى جبل ، والجبل فى صحراء ، وهناك برق وهناك رعد وهناك أصـــوات حيوانات ، فنجـــد الحق سبحانه وتعالى يريد أن يمنع عنهم المنبهات التى تخرجهم عن النوم ، فماذا قال « فضربنا علىآذانهم فى الكهف سنين عددا » (١) •• ضربنا على آذانهم ، لو لم يقل الحـــق : « ضربنـــا على آذانهـــم « لبقيت الآذان تؤدى مهمتها فأى صـــوت خارجى يوقظهم فلا ينامون وهو يريدهم نائمين ، فلابد أن يقطـــع علاقتهم مع الكون ، وعلاقتهم مع الكون ـــ وهـــم نائمون ـــ ليست الا بالاذن ، فيضرب على الاذن •• « فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا » •

اذا كلما تجلت الحقائق العلمية نجد الاداء البيانى مواكبا لهـــذه الحقائق ، ويعطيها لنا بعطاء من يعلم الحقائق كيف تكون ، ويؤديها بالاسلوب الـــذى يتفق ، والا لوكان كلاما عاديا ، ما تنبه أحد الى مثل هذه المسألة •

---

(١) آية ١١ من سورة الكهف .

فى الاداء البيانى نلاحظ أن هناك أشياء لم يدعيها البشر ، وأشياء ادعاها البشر ، فلم نجد أحدا يدعى أنه أحيا الانسان ، ولم نجد أحدا ادعى بأنه هـو الذى يميت الانسان ، اذا فقضية الحياة والموت هذه مسلمة لمن ؟ لله ، لكن هناك قضية .. فيها أسماء ؛ الطبيب يعـالجك فربمـا تظن أنت أن الطبيب شفاك ، اذا فمن الممكن أن يدعى أن الطبيب شفى المريض ، ومن الممكن أن يدعونى أحد الى طعام أو أن أكون فقيرا فيعطينى أكـلا ، فيقال « أطعمنى فلان » .. فهذه تدعى . لماذا ؟ لأنه قد يكون سببا ؛ ونقف عند السبب لكن الأمر يختلف فى مسألة الحياة والموت .

من الممكن أن يقول لك أحد .. أنا عقلى ناضج ، وسأضع لك قانونا ومنهجا لحياتك يهديك الى منطق الصواب ، كما يفعل الوضاعون فى قوانين البشر فهم يدعون أنهم يقدرون على أن يضـعوا النظم التى تهـدى البشر ، فالشىء الـذى لم يدع من البشر يعرضه الاسلوب البيانى عرضا عاديا والذى يمكن أن

يدعى يؤكده ، كيف ؟ نجد سيدنا ابراهيم حين حطم الأصنام ، ماذا قال ؟ « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى ــ وهى الأصنام التى حطمها ــ الا رب العالمين •• الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين • واذا مرضت فهو يشفين • والذى يميتنى ثم يحيين • » (١) لماذا قال الذى خلقنى فهو يهدين ولم يقل الذى خلقنى يهدينى ؟ فالاسلوب البيــانى هنا •• الذى خلقنى يهدينى فقالوا لا •• لان هذه الهداية يمكن أن تدعى من البشر للبشر ، لكن الخلق لايدعى •• فلما قال : « الذى خلقنى » هذه لم توجب التأكيد ، لان هــذا موضوع لايجادل فيه أحد ، لكن الهداية والمنهج من الممكن أن يدعيها بعض الناس فنجد سيدنا ابراهيم يؤكده « •• الذى خلقنى فهو يهدين » •• هو الذى يهدينى فقط ، ضمير فعل •• « الذى خلقنى فهــو يهدين ، والذى هو يطعمنى » لان الطعام قد بدعى أن فلانا يؤكل فلانا ، وفلان يعول فلانا ، فيؤكدها ويقول

---

(١) من ٧٥ ــ ٨١ من سورة الشعراء

تنبهوا الى أن هذه أسباب مناولة فقط •• رأما الذى أطعم فهو الله • ولذلك لم يقل الذى يطعمنى كما قال الذى خلقنى ولكن قال « الذى هو يطعمنى • » •• هو • أ ى لاغيره يطعمنى ويسقينى ، وبعد ذلك قال•• « واذا مرضت فهو يشفينى » لم يقل فيشفينى •• لأن هناك أسبابا من الطب ومن العــلاج ، يمكن أن تدعى أنك أنت الشافى ، « والذى يمتنى ثم يحيينى » •• لم يقل •• هو يميتنى ، اذا الاداء البيـــانى سائر بنظام ، بحيث أنك اذا أخذت لفظــا ونقلته فسيختل المعنى •

لا زيادة فى حرف

نأتى مثلا فى العرض للأداء القرآنى فنجد قــول الله تعالى « ما جاءنا من بشير ولا نذير » (٢) •• ، نجد أن بعض العلماء عندما يفسرون هذه الآية ، يقولون « من • حــرف جر زائــد » •• بمعنى أن أصلها ، ما جاءنى بشير ولا نذير • وحينما يشرعون فى

---

(٢) آية ١٩ من سورة المائدة

اعرابها يقول هذا البعض : من ٠٠ حرف جر زائد ٠ وبشير ، فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ٠ ونسأل : لماذا « من » حرف جر زائد ؟ ولماذا يضيف الله هذا الحرف الزائد ؟ اننا اذا تأملنا قليلا فى الآية نجد أن « الزيادة » المقول بها فى حرف « من » هى فى تصور البعض ، ولابد فى رأينا وفهمنا أن يكون لها معنى ٠ ولايضاح ذلك نقول : أنت اذا قلت : ماعندى مال ، فمن الجائز أن لا يكون عندك مال له قيمة ، انما اذا قلت معى خمسة وعشرون قرشا أو خمسون قرشا أو جنيه ، فهنا هذا لا يعتبر مالا ذا قيمة ، لكن حين أقول ٠٠ « ما عندى من مال » ٠ أى من بداية ما يقال له مال ولو مليم ، فكأن الله حين يقول ٠٠ « ما جاءنا من بشير » ٠٠ أى لم يأت لنا أحد من بداية ما يقال له بشير ، لم يوجد أحد قال لنا كلمة ياربى ، لم يهدنا أحد ولو بكلمة ، اذا ٠٠ « من » ٠٠ هنا لاتكون زائدة ، فهى قد جاءت لتؤدى معنى ٠

بيان فى حرف

من المعانى الواحدة التى يختلف فيها الاسلوب ، ويظن الناس أن هذا تفنن فى العبارات ، نجد مثلا أن القرآن يتحدث عن المصائب التى تصيب الناس ؛ ففى وصية لقمان مثلا نجده يقول له .. « وصبر على ماأصابك ، ان ذلك من عزم الامور »[1] .. فقط لاغير ، انما فى آية أخرى فى الصبر أيضا يقول. « ولمن صبر وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور »[2]. حرف لام ، نجد أن اللام هنا وضعها مع « من » فاذا تساءلنا عن السر فى هذا ومعناه التمسناه فى أن المعنى مختلف ، نعم صحيح أنه كلام فى الصبر ، لكن المصبور عليه هذا ، أمره يختلف ، فهناك مصيبة تصيب الانسان وله فيها غريم ، ومصيبة تصيب الانسان ولا غريم له ، المرض الذى يصيبنى ، من غريمى فى المرض الذى أصابنى ؟ لاأحد ، اذن على

---

(١) آية ١٧ من سورة لقمان

(٢) آية ٤٣ من سورة الشورى

من أصبر هناك ؟ فالمسألة طبيعية ، ولكن اذا لطمنى انسان أو ضربنى أو آذانى ، فتكون مصيبة قد آذتنى ولى فيها غريم أمامى ، فمادام الغريم أمامى فهذا يهيج خواطرى فى أن أغضب وأن أرد ، لكن المرض الذى أصابنى ليس لى فيه غريم ، فمع من سأعمل معركة ؟ ولذلك ــ ونعود للآية .. « واصبر على ما أصابك » يكفى جدا « ان ذلك من عزم الامور » لأنه لا يوجد غريم يحركنى على أن أنتقم منه ، لكن الآية الثانية تقول « ولمن صبر وغفر » كان لى غريم ، فأحب أن يؤكدها ، فقال « ان ذلك لمن عزم الامور » .

المرضع والمرضعة :

نجد عرض القرآن أيضا عندما يصور لنا هول يوم القيامة يقول « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » [1] مع أنهم يقولون ان مرضع .. بدون تاء .. فكلمة مرضع لا تأتى للرجل ، لأن

---

(1) آية ٢ من سورة الحج .

« مرضع » بطبيعتها للمرأة ، فلا تأتى التاء هنـــا ولذلك يقولون لك أن الأمور الخاصة بالمرأة لا تأتى فيها بالتاء ، فلا تقول •• رجل حامل وامرأة حاملة، انما تقول امرأة حامل» لماذا؟ لأن هذا وصف لايوجد الا للمرأة ، فلا توجد تاء الفرق معها ، فما دامت كلمة « مرضع » لا تأتى للرجل ، فلماذا جيىء لهـا بالتاء هنا؟ «تذهل كل مرضعة» والجواب ، لأن الله يريد أن يصور لنا هول القيامة وأن هول القيـــامة يشغل الانسان عن أعز مايحب • « المرضع » •• هى المرأة التى من شأنها أن ترضع وان لم تــكن فى ذلك الوقت مرضعة ، لكن مرضـــعة •• هى التى تلقم الثدى فى فم الطفل ، فذوهل المرأة يوم القيامة، لا عن رضيع من شأنه أن يرضع منها ، وان كان قد شبع من الرضاعة ونام ، لا ، وانما هو يذهلها عن الرضيع الذى ثديها فى فمه ، اذا •• فمرضعة لاتكون الا لحالة الارضاع ذاتها ، واما مرضع فتقال للمرأة التى من شأنها أن ترضع وان لم تكن مرضـــعة فى ذلك الوقت ، فالذهول الذى يصـــيب الناس ، متى

يكون أروع ؟ اذا كان الثدى فى فم الطفل ، فنجد التعبير القرآنى يعدل عن « مرضع » الى مرضعة ، وهذا أداء ايقاعى حتى يعطى المعنى الدقيق .. السليم .. المطلوب .

الجلد ومراكز الاحساس :

بعد ذلك يأتى القرآن ، ليعرض لنا أشياء ما كنا نعرفها ، الا أننا كنا نفهمها على أنها أسلوب أدائى ؛ وننفعل له .. الانفعال المناسب له قدر عقولنا ؛ وبعد ذلك يأتى العلم الجديد ، ويعطينا صورا ، فنقول هذا أسلوب بيانى مضبوط . حين عرض القرآن لعذاب الكفار فى الآخرة ، يقول الحق « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب »[1] .. « جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » .. نحن كنا نقرأها قبل أن نعرف أين منطقة الاحساس ؟ هل الاحساس فى المخ أم فى النخاع الشوكى . ثبت أخيرا أن هذا الجلد ، هو

---

(١) آية ٥٦ من سورة النساء

الحاسة المهمة فى الانسان ، لدرجة أن الأذن لا تستقبل أكثر من ثمانية عشر مؤثرا ، واذا زادت المؤثرات ، تختلف الاصوات ولا تتميز ، والعين لا تميز أكثر من ثمانية عشر مرئيا ، فاذا زادوا عن ثمانية عشر مرئيا تختلط ولا تنظر ، لكن السنتيمتر من جلد الانسان ، يستقبل ثمانمائة مؤثر مختلفة ، ٨٠٠ مؤثر ويحس بها ، واذا هذا الجلد فى مسألة الاحساس هو المركز القوى ، فحين يأتى الحق سبحانه وتعالى ويقول « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » .. ثم يعلل .. « ليذوقوا العذاب » .. فيكون هذا أداء بيانيا رائعا ، اتفق مع الحقائق التى أثبتها العلم ، فى أن مناط الحس الاصيل فى الانسان هو الجلد ، بدليل أن الجلد حين يحرق يمتنع الاحساس ، والله يريد أن يديم عليهم احساسهم بالعذاب ، فحين ينضج الجلد ، يأتى لهم بجلد آخر .. « ليذوقوا » أى لتتكرر اذاقتهم للعذاب .

هنا وقفة ، وهو أن هناك مدرستين الآن ، مدرسة

تستقبل الحقائق العلمية فى الكون ، وتحـــــاول أن تخضعها للقرآن ، ومدرسة تنفى ذلك ، تقول لا .

الاستاذ احمد فراج :

اذا أذنتم ، ربما تكون المحاولة هى اخضـــــاع الآيات القرآنية وتوطئتها لكل ما يكتشف فى قضايا العلم وليس محاولة اخضـــــاع الحقائق العلميـــة للقرآن ، مع ما قد نسلم به من أن العلم لا يعـــرف الكلمة الأخيرة فى كثير من القضايا والمسائل ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

نعم يحدث ذلك ، لكن نحن نأتى ونقول لهم ان الذين منعوا مجانبين للصواب ، والذينغالوا مجانبين للصواب ، لماذا ؟ لاننا قد قلنا أولا ان القرآن كلام الله ، والكون خلق الله ، وحقائق الكون الموجودة فيه والتى خلقها الله لابد أن تنسجم مـــع كلام الله ، فلا يكون هناك تضارب ، فان حصـــــل ما ظاهره التضارب ، فاما أنكفهمت حقيقة قرآنية ، وهىليست حقيقة قرآنية ، وليس هذا المـــــراد من الحقيقة

القرآنية ، واما أنك أتيت بشيء ليس حقيقة علمية ، وقلت هو حقيقة علمية ، لكن اذا تأكدنا أن هذهحقيقة قرآنية ـــ وهذا هو الفرق ـــ وهذه حقيقة علميـــة فلابد أن يلتقوا ، لأن قائل القـــرآن •• هـــو خالق الكون • الا أن الناس ، لايفطنون الى أهمية تحديد ما هو العلم ؟ لايقال علم •• الا اذا كانت قضية ، وأنت تجزم بها ، وهى واقعة ، وعليها دليل ، بغير ذلك لا يكون علم ، والعلم من أجل اكتشاف حقائق الكون مفهوم أنه يبدأ بالملاحظة ، ثم التجـــربة ثم النظرية ، ثم الحقيقة العلمية ، فلا يقال حقيقـــــة علمية ، الا فى نهاية المطاف بأن تسلم ، وكل الجزئيات تنطبق على هذه الحقيقة ، ولا تشذ عنها حقيقة ، فاذا جئت لتخضع القرآن لملاحظة علمية ، نقول لك هـــذا غلط ، لأنه من الجـــائز ألا تنجح الملاحظة بالتجــــــربة ، واذا جئت لتخضـــــع القـــرآن لتجربة علمية ، نقول أيضا هذا غلط ، لأنه من الجائز ألا تنفع التجربة ، اذا أردت أن تخضع القـــــرآن لنظرية ، نقول لك هذا غلط أيضا لان النظرية يمكن أن تخطىء ، لكن اذا وصلت الى حقيقة علمية ، نقـــول

لك ‥ ان لم يكن فى القرآن ما يؤيدها ، فليس فيه قطعا ما يعارضها •

الاستاذ أحمد فراج :

لكن نحن نقول أيضا ان العلم لا يعرف الكلمة الاخيرة ، باستمرار ما يسمى بالحقائق العلمية اليوم يخضع للتغيير والتبديل غدا •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

هنا ، لاتكون حقيقة ، فمثلا أنا الآن ، اذا نظرت الى الفلكيين ، والناس الذين يحسبون دورة الارض ودورة الشمس والقمر و ‥ و ‥ الى آخره ، ونجدهم يقولون مثلا ان الساعة كذا فى يوم كذا ، يحدث خسوف ، أو يحدث كسوف فى منطقة كذا ، حين نتابع هذا الذى قالوه ونجد الأمر كما حسبوه وأكدوه ، فهذا دليل على أن المقدمات سليمة ، لو كانت المقدمات فيها غلطة واحدة لكانت النتائج تأتى مضطربة ، فلما كانت النتائج سليمة ، فتلك حقيقة علمية ، فمثلا لو قالوا ان الارض كرة ، ودورتها

حول نفسها تستغرق كذا ، ودورتها حول الشمس تستغرق كذا وحول القمر تستغرق كذا ، ففى الوقت الفلانى تـكون الشمس اما بين الأرض والقمـر ، فيحدث كذا ، أو القمر بين الشمس والارض فيحدث كذا ، مادامت هذه المقدمات والنتائج تأتى طبـق الأصل ، فلابد أن يكون هذا الكلام مبنيا على حقيقة علمية ، فلا نستطيع أن نجادل فيه ، لكن حين يأتى شخص ويقول لى •• انهم قد وصـلوا الى القمر ، وربنا قد ذكرها فى القرآن • فأقول له كيف هـذا ؟ يقـول •• قـال • « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ، فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » (1) •• وهـذا هو سلطان العلم •• فأقول له ما دخل طلوع القمر هذا بالسماء ؟ ان القمر ليس الا ضاحية من ضواحى الأرض ، ماالقمر بالنسبة للسماء ؟ أين بعد الشمس؟ ان القمر لا يبعد ثانيتين ضـوئيتين ، أما الشمس فثمانى دقائق ضوئية ، وهناك كواكب أخرى بيننـا

---

(1) آية ٣٣ من سورة الرحمن

وبينها ألف سنة ضوئية ، وأخرى بيننا وبينها مليون سنة ضوئية ، فأين السماء ، وأقطار السماء من أين جاءت ؟ فأنت فى ضاحية الأرض فى القمر ، ثم اذا كان سلطان العلم كما يقال فكيف يقول الله بعدها : «يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران» (١) .. مادام السلطان الذى جاء هو العلم ، وسننفذ فلماذا يقول « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .. وهل أنا المتحدى فقط ، أم الجن أيضا داخل فى التحدى ، الجن لانه يقول « يا معشر الجن والانس » يخـــاطب الاثنين ، والجن بنص القرآن ، كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع ، فهم واصلون الى مدى بعيد ، ومع ذلك متحدين ، اذا لا يصـــح ان تقول ان القرآن أشار الى ذلك اذن فما معنى : « الا بسلطان » نقول « الا بسلطان » هذه آتية لغرض واحد ـــ وهذا أيضا أداء بيانى ـــ حتى لا يعمل مغمز فى أى قضاية من قضايا الدين ، وحتى لا تتعارض قضايا الدين ! لقـــد أسرى اللـــه

---

(١) آيه ٣٥ من سورة الرحمن .

بعبده من المسجد الحـرام الى المســجد الأقصى ، وعرج به الى السماء ، فلو ان « الا بسلطان » هذه لم تأت هنا لقال قائل « لا •• محمد لم يعرج به الى السماء » •• لماذا ، لأن اللـــه يقول « •• يا معشر الجن والانس ، ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فأنفذوا لاتنفذون » وقد تحدى، لكن قول الله •• « الا بسلطان » •• • أى بسلطان منه ، فهو الذى يخضع القوانين ، وهو الذى يخرج محمد من‌هذا النطاق الى السماء ، فاذا «الا بسلطان» هذه آتية حتى لا يكذب محمد فى أنه صـعد الى السماء •• ان لم تكن هــذه الآية فقــد كـان من الممكن أن يقول انســان » •• لا ، ان القـــرآن يمنعه » •

اذا فالذين يمنعون أن القرآن قد يلتقى ببعض الحقائق العلمية ، نقول لهم • لا ، لكن حققوا أولا أنها حقيقة علمية ، فاذا وصلت مسألة الى مرتبــة الحقيقة العلمية فالقرآن لا يعارضها ، بل يمكن أن يؤيدها •

والقـــرآن لــم يجيء كتـــــاب عـــلم بمعنى أنه لم يأت ليعلمنى الكيمياء ولا ليعلمنى الفلك ولا ليعلمنى الجغرافيا ، انما يمس حقائق الكــون الموجودة بما يؤدى الى مصداق قول الله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم »[1] •• ولا يمكن أن يرينا الآيات فى الآفاق وفى أنفسنا ، الا اذا اكتشفنا حقائق علمية ، ثم وجدنا قرآننا يؤيدها أى يمن على الحقيقة على أنها حقيقة ، وهذا غير أن يعلمها لنا ، فتعليمها نشاط ذهنى لكن اذا وصلت اليها تجـــد القرآن اما أن يؤيدها أو لايعارضها ، وهذا ما يجب أن نلتفت اليه فى بحث القرآن من ناحية الحقــائق العلمية •

الاستاذ احمد فــراج :

يبدو أن هناك تعليقا بسيطا وهو •• أننا محتاجون الى أن نتعلم اللغة العربية من البـــداية لان تذوق

(١) آية ٥٣ من سورة فصلت

اللغة العربية ، وهذا الكتاب نزل بها ، هو الـــذى يضع أيدينا فى الواقع على الامكانيات أو القدرة على الاحساس بالاعجاز البيانى فى هذا القرآن ، والذى لا نشك أنه هو الذى كان ــ ولايزال ــ الاساس فى تحدى الناس بالقرآن نفسه •

لأنه لم يكن المتصور •• أن ينتهى نزول القرآن أولا ليتم التحدى به كبيان معجز وكمنهــاج كامل للحيــاة أو كمنهـــاج للتشريع ، أو كتــاب يمس قضـــايا علميـــة • لـــكن لا شـــك أن الاعجاز كــان فى مبتدئه •• هــو الاعجــاز البيانى وكان الناس مدعوون الى الايمان بالقرآن والايمان بالله منزل القرآن ، منذ أول آية نزلت وهى «اقرأ» ثم ان التحدى بالقرآن قائم كمنهج كامل للحيــاة وكمنهاج كامل للتشريع ، واعجازه فيمــا يمس من قضايا العلوم قائم متجدد دائما •• وهذا يمكن أن يؤكد بالفعل أنكل خدمة تؤديها حكومتنا ، وحكوماتنا العربية والاسلامية فى كل مكان من العالم الاسلامى للغة العربية ، فهى خدمة للأمة الاسلامية ، تعــرف

بها الطريق الصحيح الى هذا الكتاب ، وتعرف بها الطريق الصحيح الى الايمان بالله ، الى يوم تقوم الساعة ، ومرة أخرى نشكر فضيلة الاستاذ محمد متولى الشعراوى •

مكانة المرأة فى الإسلام

الاستاذ احمد فراج :

الانسان أصل كل حضارة وصـــانع كل حضارة ، وهذا الانسان ينقسم الى نوعين ، الرجل والمرأة • كيف ينظر الاسلام الى المرأة ؟ ان البعض يتصور ـ حتى من بين المســلمين أنفسهم أن الاســـلام ينحاز ضدها ، وأن المرأة فى هذا العصر ، تحتـــاج الى التحرر ، وتحتاج الى الانطـــلاق والعمل ، والاسلام ـــ فى زعم هؤلاء ـــ لا يقدم لها المستوى الذى يليق بتطورها فى هذا العصر الـــذى نعيش فيه •

ولانشك أن آخرين ســـوف يسخرون من هـــذا الطرح للقضية وسيسألون بدورهم عن هذا العصر وما اذا كان قد أعطى المرأة شيئًا حقيقيا ، واذا كان قد أعطاها ، فما الذى أخـــذه منها وما هو جوهر التحرر الذى نقصده ، وكيف يقارن عطاء العصر ـــ حتى فى جانبه الايجابى بعطاء الاســـلام للمرأة ، كانسان وكيان ، هذه بعض تساؤلات ، كانت أمامى عندما بدأت أدير هذا الحوار مع فضيلة الاســـتاذ

الشيخ محمد متولى الشعراوى •

وكان المدخل هو قضـــية الزوجية ، التى نراها كظاهرة عامة فى كل الكائنات فى هـذا الكون ، واذا كانت هذه الظاهرة تعطى نوعين ، فهل هذا الانقسام يعطى ميزة لأحد النوعين على الآخر ، وهل يفرض قيدا على أحدهما لحساب الاخر ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

فى الواقع أن الانسان حين ينظر الى موضـــوع من الموضوعات التى قد تختلف فيه العقول يجب أن يبحث فى موضوع مشابه له اتفقت فيـه العقول ، وبذلك يرد الحكم فى الاول المختلف فيه ، عـــنى نظام الحكم فى المتفق عليه •

أولا كلمة امرأة تعنى أن لها مقابلا وهو الرجل ، امرأة تعنى « أنثى » ورجل يعنى « ذكر » لـــو نظرنا اليهما •• وجدنا أن هناك جنسا يجمعهما وهو « انسان » •• وحين أقول جنسا يجمعهما •• وهو انسان أقصد أن الجنس هو ما يمكن أن ينشأ منـه نوعان ، والنوع ينشأ منه أفراد متساوون ، فأنـا

أقول انسان جنس لانه ينشأ منه نوعان وهما الذكر والأنثى ، وبعد ذلك نجـــد أن الذكر يأتى منه زيـــد وعمر وعبيد ، ولا اختلاف فى تكوينهم الحقيقى •

واذا نظرنا الى جنس انقسم الى نوعين ، فيجب أن نقول •• انه لـــم ينقسم الى نوعـــين الا لأداء مهمتين ، والا لو كانت المهمة واحدة ، لظل الجنس واحدا ، ولم ينقسم الىنوعين ، فانقسامه الى نوعين دل على أن كل نوع له خصوصية فى ذاته والجنس يجمعهما ، ولهما معه خصوصية فى ذاته • مثلا الزمن جنس •• يشمل الليل والنهـــــار •• الليل والنهار كظاهرتين ـــ وقـــد يظن البعض أنهما متعارضتـــان أو متناقضتان ، لان هذا نور ، وذلك ظلام ، نقول ، لا •• النور لم يأت ليعارض الظلام ، والظلام لم يأت ليعارض النور ، ولذلك لايصح أن نقارن بين نور وبين ظلام ، لان لكل واحد منهما مهمة يؤديها لايستطيع الآخر أن يؤديها ، فمادام الزمن قدانقسم الى ليل ونهار ، فنقول •• ان الزمن بجنسيته له معنى ، وهو أنه ظرف لحدوث الاشياء فيه ، هذا هو المعنى المشترك ، وبعد ذلك انقســـم الى نوعين ،

وهذان النوعان ، نهار وليل ، فلابد أن يكون للنهار مهمة وأن تكون لليل مهمة أخرى • وحين يعرض الحق سبحانه وتعالى هذه القضية يعرضها عرضا واضحا معللا فيقول « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه •• والنهار مبصرا »(١) •• اذا فقد جاء بعلة وجود الليل ، وهو السكن والهدوء والراحة والاستقرار ، والنهار للكدح والعمل •• اذا فلا نستطيع أن نقول ان الدنيا كنهار دائم •• أو الزمن كنهار دائم ينفع ، ولا الزمن كليل دائم ينفع، يعرضها القرآن أيضا ، فيقول •• « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء ، أفلا تسمعون ، قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون »(٢) ، اذا فالحق من رحمته أنه جعل الزمن ، الذى هو كجنس •• ظروفا لحدوث الأشياء فيه ينقسم الى نوعين ، كل نوع يؤدى مهمة ، فلو

---

(١) آية ٦٧ من سورة يونس

(٢) الآيتان ٧١ ــ ٧٢ من سورة القصص •

أردنا أن نشبه الليل بالنهار أو النهار بالليل ، فنكون قد خرجنا بالنوعين عن المهمة الاصيلة لهما •

الرجل والمرأة بهذا الشكل ، الرجل والمرأة نوعان لجنس هو الأنسان ، فكأن هناك أشياء تطلبمن كل منهما كانسان ، وبعد ذلك أشـياء تطلب من الرجل كرجل ، ومن المرأة كامرأة ، بحيث نستطيع أن نقول انهما كنوعين من الجنس ، لهما مهماتمشتركةكجنس• ومهمات مختلفة كنوعين ، الحق سـبحانه وتعالى • حينما عرض قضية الليل وقضية النهار ـ وهـذه قضية كونية لايختلف فيها أحد ولا يمكن لأحد أن يعارض فيها ، لأننا جميعـا نجعل الليل للسكن والراحة ، والنهار للكدح ـ عرضها سبحانه وتعالى ليقدمها ايناسا للقضية التى يمكن أن يختلف فيها ، وهى قضية الرجل والمرأة ، فقال « •• والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى » هذان نوعان من الزمن • ثم أتى بالنوعين الاخرين اللذين يمكن أن يختلف فيهما فقال •• « وما خلق الذكر والأنثى ، ان سعيكم لشتى » [1] •• فكأن لليل مهمة وللنهار مهمة ، وكأنه

---

(١) الايات الاولى من سورة الليل

ـ تبعا لذلك ـ للرجل مهمة والمرأة لها مهمـة ، أى للذكر مهمة وللانثى مهمة « ان سعيكم لشتى » •• ثم يأتى بعد ذلك ، فى هذه القضية العامة فيقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » (١) •• لا يتمنى الرجل أن يكون امـرأة ولا المرأة أن تكون رجلا ، ولذلك فان الحديث يأتى صراحة فيقول « •• لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » لماذا ؟ لأنها خرجت عن النوعية المقصودة ، كذلك كل أزواج الحياة • ومن هنا فالحق سبحانه وتعالى يقول « ومن كل شىء خلقنا زوجين » (٢) •• ويقول « سبحان الذى خلق الأزواج كلها » (٣) •• ويقول « يآيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجهـا » أى خلق من جنسها زوجها ، « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٤) اذن

---

(١) آية ٣٢ من سورة النساء •
(٢) آية ٤٩ من سورة الذاريات •
(٣) آية ٣٦ من سورة يسن •
(٤) الاية الاولى من سورة النساء •

فعلة وجود الزوجية فى الانسان ، وفى النبات ، وفى الحيوان ، وفيما عرفنا من بعض الجمادات التكاثر •• التكاثر فى هذه الأشياء ، لأجل أن يحفظ النوع بكثرة أى بازدياد ، الا أننـــا نلاحظ أن التكاثر جاء فى الأجناس وهى فى الأنسان والنبات والحيوان ، كيما يكثر الكمية ، لكن فى الجماد ظلت الكمية كما هى ، قالوا •• لان تكثير الانسان وتكثير الحيوان وتكثير النبات ، سيؤول فى نهاية الامر بعد مفارقة الحيــاة لهذه الاجناس ، الى جمادية فى العناصر ، فتـــكون كل هذه الزيادات الموجودة سترتد الى جماديات ، فالانسان بعد أن يموت ، نجـــد أن الماء يذهب الى الماء ، والعناصر المكونة للجسم وعددها ستة عشر سيذهب كل الى عنصره ، فيكون هذا زيادة فى نفس الجماد ، وحينما تناول الحق سبحانه وتعالى هـــذه القضية ، بين لنا •• أننا يجب أن نفهم أن لكل نوع من الجنس مهمة يؤديها ، هذه المهمة التى يؤديها يجب أن يقف عندها ، فاذا ما وقف عندها ، أمكن لـــكل نوع أن يؤدى مهمته بدون تعارض ، بـــل يتســاند ويتعاون ، والذى يفسد الأمر •• أن نوعا يريد أن

يغير على حقوق نوع آخر ، أو على واجبات نوع آخر ، ومن هنا يحدث الفساد فى نظام الكون •

الاستاذ أحمد فراج :

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى ، واضح من كلام فضيلتك أن هناك ما يمكن أن نسميه خصائص مشتركة بين الذكر والأنثى ، بين الرجل والمرأة ، وأن هناك نواحى تختلف فيها وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ، فهل لنا أن نتناول أولا هذا القدر المشترك ، الذى تفضلتم بالاشارة اليه ، ماهى الأمور التى يشتركان فيها ؟ وما هى الامور التى يختلفان فيها ، ولماذا ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

القدر المشترك •• هو ما يطلب من الجنس •• كانسان ، وما يطلب من الجنس كانسان بالنسبة الى دين من الأديان ، هو الأعتقاد • فالمرأة مطلوبة أن تعتقد العقيدة التى تقتنع بهـا ، والرجل كذلك ، يعتقد العقيدة التى يقتنع بها ، فلا يمكن للرجل أن يفرض عقيدته على امرأة • والقرآن يعرض لنا هذه

المسألة ، ويعرضها فى أقوى صورها ، مثلا الرسل الذين جاءوا ليحملوا الناس على منهج الله ، أولى بهم .. أن يحملوا زوجاتهم على منهج اللـــه ، ومع ذلك قدم لنا القرآن هذا العرض ، فيقول « .. ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ، وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين » [1] .. اذن الرسول .. المفروض فيـــه أنه يأتى لكى يهدى الناس ويعلمهم منهج الله ولكن لم يستطع أن يقنع امـــرأة ـــ زوجته ـــ بمنهجه ، وظلت مخالفة لذلك المنهج ، اذن فللمرأة أن تعتقد ما ترى كانسان له حرية الاعتقاد .

وبعد ذلك يعرض القضية المقابلة « وضرب الله مثلا للذين آمنوا ، امرأة فرعون » .. فرعون الذى ادعى الألوهية ما استطاع أن يدخل هذه العقيدة فى روع زوجته .. « .. قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم

---

(١) آية ١٠ من سورة التحريم

الظالمين [1] اذا فالخاصية الاولى •• هى خاصية حرية الأعتقاد ، وأن لها أن تعتقد ما تشاء وأن تقتنع به ، لماذا ؟ لأن هذا الاعتقاد سيلزمها بمنهج ، فلو لم تكن مرتبطة بالعقيدة باختيارها وبطواعيتها ، فيكون اقبالها على المنهج غير مأمون ، ان اقبلت اكراها ، تقبل على المنهج ما رأيتهـا ، أو ما رآها القانون أو ما رآهـا المكره ، لـكن اذا ما خلت بنفسها يمكنهـا أن تتحلل من ذلك المنهـج • اذن •• فالقـدر المشـترك الأساسى •• هـو حـرية الاعتقاد ، حرية تعقل الأشياء • حرية الحكم علـى الأشياء • مثلا نجد أن القرآن يعـرض لنـا مثلا ، وهذه المثل منها أنه يأتى لبلقيس ــ مع أن الأسلام لايرى أن المرأة تملك ــ ويعرض لنا قصتها ليعطينا أن المرأة لها أن تعقل ، ولهـا أن تشـير وتستشير ، ويعطينا صورة من عقلهـا ورجحانها ، ففى قصة سيدنا سليمان نجد أن سيدنا سليمان أرسل لبلقيس

---

(١) آية رقم (١١) من سورة التحريم •• ولابن القيم التفاتة جميلة فى تقديم (عندك) على (بيتا فى الجنة) اذ قال ان امرأة فرعون قدمت الجوار على الدار •

الكتاب ، بعد أن جاء له الهدهد ، فاستقبلته ، ماذا كان موقفها قالت « انه من سليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » (١) •• وبعد ذلك قالت لهم « ما كنت قاطعـة أمرا حتى تشهدون •• قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين » (٢) ••• هذه مسالة سياسية وليست مسألة قوة فنحن جيش وقوى ، وحينما تأمريننا بالحرب ، نحارب ، انمـا أنت التى تقدرين ماذا نفعل ؟ فهذا رأى سياسى ، فماذا صنعت ؟ قالت اننى سأرسل له بهدية ، فان قبل الهدية ، أعلم أنه طالب دنيا ، اذن أمكن للمرأة أن تفكر التفكير السليم ، الذى تعـرف به طبيعة سليمان هذا ، أهو ملك من جبارى الدنيـا ، يريد الدنيا وزينتها ويريد خيرهم وما يملكون ، أم له مهمة أخرى ؟ فأرسلت الهدية •• فماذا كان موقف سليمان قال « •• أتمدونن بمـال ، فما آتانى الله خـير

---

(١) رقم ٣٠ ــ ٣١ من سورة النمل

(٢) رقم ٣٢ ــ ٣٣ سورة النمل

ممــــا آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون » [1] ..
فعلمت أنه انسان لا يريد مالا ولا جاها فالمســـألة اذن جادة ، وبعد ذلك قالت سأذهب اليه لانه غـــير طالب دنيا ولا مال ، وانما هو رجل له منهج .

وعلى الناحية الأخرى قال ســــليمان لجلسائه « يأيها الملؤا أيكم يأتينى بعرشـــها قبل أن يأتونى مسلمين » [1] وبعد ذلك جيىء بالعرش ونصب .. الى آخره ، فلما جاء العرش ونصب ، ووجهت بـــه بعد ذلك . ولننظر هنا الى عقلية المـــرأة ، كيف استطاعت ان تقف الموقف الدقيق وتعبر التعبـــير الذى نقول عنه « التعبير الدبلوماسى » ان عرشها تركته فى بلدها ولكن هناك مســـــألة غريبة فى كونها تركت العرش ، وبعد ذلك تأتى فتجد العرش ، فلكى يفك العرش ، ولكى يحمل المسافة التى قطعتها وحتى يصل فان هذا كله يحتاج الى وقت طويل وهى تركت العرش وجاءت ، فماذا تقول ؟ وأنت هنا لو جمعت

---

(1) آية ٣٦ من سورة النمل .

كل رجال السياسة وجعلتهم يكتبون لها بيانا لايؤخذ عليها ، فماذا كانت تقول ؟ « قالت كأنه هو »[1] . كلام لا يعرف به العرش اذا كان هو أم لا ؟ كلام دبلوماسى حقا ، اذن هذه صورة من صور عقليـــة المرأة .

كذلك يعرض القــرآن لنا .. أن اللـــه سبحانه وتعالى يصطفى بعض النساء ، كمـــــا يصطفى من الرجال تمـــاما ، يصطفى مثلا مريم ، ويقـــــول « .. يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفـــاك على نساء العالمين »[2] .. ثم يأتى ويصطفى واحدة أخرى مثل أم موسى ، ويوحى اليها بأشياء وتفعل أشياء الى آخره ، اذن فالمرأة من حيث كونها جنسا محل للاعتقاد الحر .

محل لاصطفاءات الله ولأن يخصها الله بشىء .

الرجل .

محل لاصطفاءات الله ولان يخصها الله بشىء .

---

(1) آية ٣٨ من سورة النمل .

(2) آية رقم ١٣٦ من سورة آل عمران .

وبعد ذلك يأتى الاسلام فنجد أن حياتها حرة ، لها حرية التملك لها رأيها فى من تختار لنفسها ، أن تقبل أو ترفض ، أعطاها أشياء من حيث ملكيتها للاشياء ولها تصرفاتها ، كل هذه القدر المشترك بالنسبة للرجل وللمرأة • ولكن وجودنا فى الحياة هذا موضوع آخر •

الاستاذ احمد فراج :

نأتى لهذا الموضوع الآخر يا فضيلة الشيخ الشعراوى ، طبعا فيما يختص بموقف الاسلام وما أعطاه ، نحن نعرف أنه فى أوروبا تفقد المرأة أهليتها — فى بعض الدول — على التصرف ، بالزواج، فلا يعود لها الحق فى أن تبيع أو تهب ، أو تشترى أو توصى ، حتى انها لتفقد اسمها فيكون اسم العائلة هو اسم زوجها ، لكن المشكلة تأتى عندنا فيما يتعلق بالقضايا التى تبدأ تميز لكل نوع مهمته ، المرأة لها مهمة والرجل له مهمة ، فأولا ما هى هذه المهمة التى للمرأة ؟ ثم ان بعض فتياتنا يقلن : ان الاسلام فرض علينا قيودا ، فرض علينا لباسا معينا،

فرض علينا أن تكون حركتنا محدودة ــ وأنا هنــا أردد بعض ما يقال وأعرف فى نفس الوقت أن كثيرات جــدا من فتياتنا فى العالم العـــربى والاسلامى يستشعرن تمـــاما عظمـــة الاســـلام وعظمـــة ما قدمه للمرأة ــ لكن لهذه الفئة أو المجموعة التى ترى هذا الرأى نحب أن نناقش ، هل هناك ميزات أعطاها الاسلام للرجل على حساب المرأة ؟ هـــل حرمها ؟ هل قيدها •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

نحن فى قصة آدم نجد حينمـــا نصح الله آدم وزوجه وحذرهما من الشيطان قال « ان هذا عدو لك ولزوجك » •• والعداوة مســـبقة لانه امتنع عن السجود ، « عدو لك ولزوجك ، فـــلا يخرجنكما من الجنة » •• أى اياكما أن يغويكم ، ويدليكم بغرور فيكون أن يخرجكما من جنة الامتثال عنـــد اللـــه فتشقى » (١) •• هــذا الخطاب للاثنـــين ، لآدم ،

---

(١) آية ١١٧ من سورة طه

« انه عدو لك ولزوجك ، فلايخرجنكما » .. للاثنين، كان الاصول أسلوبيا .. أن يقول القرآن « فتشقيا » .. لكن القرآن عبر التعبير الموحى ، التعبير الذى يعطى لكل واحد منهما مهمته فقال : « فتشقى » فجعل الترتب فى الشقاء لآدم فقط ، فكأن آدم مخلوق ، للكفاح ، ولجهاد الحياة ولمقابلة صعابها ، والمرأةفقط مخلوقة سكنا له ، يتحركحركته فى الحياة ويأتى ليهدأ عندها ، ويأتى ليستقر ، هى مصدر الحنان ، وهى مصدر العطف الذى يمسح بيده على كل متاعبه فتزول ، حين تمسح بيدها على كل متاعبه فتزول ، يستطيع أن يستأنف الحياة بعد ذلك بشىء من النشاط . الحق حينما قال « لتسكنوا اليها » اذا فالمهمة الاساسية للمرأة .. أن يسكن اليها الرجل . كلمة يسكن اليها .. كلمة معبأة ، معنى يسكن اليها ، انه كان متحركا ، خارجا عنها ويأتى ليستقر عندها ، اذن فهى التى تعوض الرجل عن المتاعب التى يلقاها بحنانها وبعطفها وبرقتها ، وبسهرها على راحته ، وبعد ذلك تجيىءالمهمة الثانية

« وجعل بينكم مودة ورحمة »[1] •• وبعد ذلك جاء للبنين والحفدة •• « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة »[2] اذن فالمهمة الاساسية للمرأة •• أن يسكن اليها الرجل ، ومعنى يسكن اليها الرجل ، لو قدرت المرأة هذه المهمة ، لوجدتها تستوعب كل وقتها ، بمعنى أنه ساعة أن يعمل هو ، تعمل هى وتعد له ما يأتى ليرتاح به ، فيأتى ويجد بيتا ساكنا ، بيتا مستقرا ، بيتا كل أموره مرتبة •• كل أموره فيه منظمة ، فبعد أن كان متعبا • يرتاح ، وبعد ذلك تكون وعاءا للتكاثر ، تأتى بالبنين ، وتأتى بالحفدة •

مع أى شىء يتعامل الرجل فى الحياة ؟ تعامل الرجل ، ان كان مزارعا ، فهو يتعامل مع الأرض ومع الحيوانات ليربيها مثلا ، وان كان صانعا يتعامل مع المادة كى يخرج منها مثلا أدوات ، ان كان تاجرا فهو وسيط بين منتج ومستهلك ، اذن فعملية

---

(١) من الآية ٢١ من سورة الروم •
(٢) آية ٧٢ من سورة النمل •

الرجل .. تعامل مع أجناس من الحياة .. أى مع « أشياء » ، كل هذه الاشياء لخدمة الانسان والانسان أرفع هذه الاجناس كلها .. أما مهمة المرأة فهى التعامل مع ذلك الجنس الراقى ، وهو الانسان ، تتعامل مع الانسان ، تتعامل مع الانسان كزوج ، فيسكن اليها وتريحه ، ثم تتعامل معه جنينا فيكون فى بطنها وبعد ذلك وليدا تحضنه ، وليدا ترضعه ، وليدا تعطى له المثل .. تربيه وتخرجه للحياة مزودا بمبادىء القيم التى تصوغها فى نفسه اذن فالرجل يتعامل مع الاشياء التى دون الانسان ، والمرأة تعاملها الاساسى مع الانسان كزوج ، أو كابن حين تنظر الى طفولات الحيوانات نجد أن طفولات الحيوانات كلها قليلة ، وأطول الطفولات عمرا .. طفولة الانسان هذه الطفولة هى ميدان المرأة ميدان عمل المرأة ، ومادامت مدة الطفولة زادت ، لانها تزاد بقدر المهمة التى يقوم بها ، أما الحيوانات الأخرى فمهمتها غير مهمة الانسان ، لكن مهمة الانسان مهمة كبيرة سامية وعالية ، فطفولته تناسبت مع هذه المهمة ليستطيع أن يمد بكل المبادىء وبكل

القيم ، وبكل الاشياء التى تعينه على هذه المهمة ، من الذى يتعامل معه ؟ الرجل يخرج لعمله والطفل مع أمه ، يظل الى سن السادسة مثلا ، الى أن يكبر ، ويوجد له مجال آخر يؤثر فيه وهو المدرسة ، الى سن السادسة ، نجد أن العقل فيه فارغ ، فالمثل تبدأ تملأه ، من اذى يستطيع أن يملأ المثل .. الأم ، فاذا كانت الأم مثلا مشغولة عن ذلك الوليد بأى عمل من الاعمال فليس من المعقول أن تتركه بلا راع ، فهى تلجأ الى راع .. وهو الخادم ، تأتى الخادم ، وقد تكون أمينة ، قد تكون نظيفة .. انما لايمكن أبدا .. أن يكون لها قلب أم ، ولذلك قرأت أنا كتابا عن « أطفال بلا أسر » وجدوا أن جيلهم متخلف ، لماذا ؟ لان عشرين طفلا مثلا يتعاملون مع مربية واحدة ويتعامل مع الطفل أطفال فى سنة ، لكن حين يكون الولد فى مجتمع بين أمه ، وبين أبيه ، وبين جده وبين جدته ، وبين أخواته المتفاوتين فى الاعمار ، يبدأ الولد الصغير يلتقط من كل جيل ، ولذلك هذا هو السر فى أن القرآن قال « بنين وحفدة » .. وأنت تتصور الوليد الناشىء فى

بيت فيه جد وجدة وأب وأم ، الجد والجدة ، الذين فرغوا من شئون الحياة المادية ، ومن التهافت عليها أصبحوا يقبلون على المثل وعلى القيم وعلى الوضوء والصلاة وسائر الفضائل ، فيبدأ يلتقط من هـــذا الجيل الذى يعاشره ، أما الأب فيبدأ يأخذ شيئا من نشاطه الى آخره ، وأخوه الصغير يأخذ من مستواه أيضـــا •

فاذا كان فى الجامعة يأخذ شيئا منه ، والذى فى الثانوى يأخذ شيئا منه •• اذن الوليد الصغير حينما يكون فى الاسرة يستطيع أن يتقبل من كل قطاعات الانسان ، القطاع الكبير والقطاع المتوسط والقطاع الصغير ، أما الام فنحن نرنوها فى أنفسنا ، فالرجـل يجيىء متعبا وبعدذلك يكون له وليد ، فيصرخ بالليل ، فنجده يضيق بهذا ، ويطلب من أمه أن تقـــوم لتسكت هذا الوليد • وما معنى ذلك ؟ معنى ذلك أنـــه ليس مخلوقا كى يتحمل هذه المسألة ، ولكنه هــو مخلوق لميدان العمل خارج البيت • وانما المسئول عن تحمل هذه المسألة •• هى الام ، فحينما يصرخ الوليد تقوم هى بهبة حنان ، وبهبة عطف ، وقد تجده فى أقـــذر

حالاته ومع ذلك نفسها لاتتقزز ، بل تنظفه ولاشىء ، وربما ذهبت لتكمل أكلها ، لكن الرجل لا يقدر على هذه المهمة ، فهو أولا لا يقدر على مهمة الضجيج فهو يريد أن يسكت الوليد لانه هو جـاء ليهدأ فى البيت •

اذن فالمرأة مهمتها وتعاونها مع أشرف أجنـاس الكون ، وهو ذلك الانسان ، مهمة الانسان لا ننظر اليه بعد أن ينضج لانه بعد أن ينضج مطلوب منـه عطاء ، انما مطلوب له أخذ قبل أن ينضج ، من الذى يعطى له ؟ لابد أن تكون طاقة حنان تحبه ، المربية مهما كانت فليس عندها طاقة الحب أو طاقة العاطفة كى تعطى حنانا ، فحينما يأتى الاسـلام ليقول ان المرأة مجعولة لهذه المهمة ، سكن للزوج ، وبعد ذلك حضانة للبنين ، يعطيها أشرف مهمة فى ذلك الوجود وهذه المهمة •• يجب أن تأخـذها المرأة بشىء من الفخر وبشىء من الاعتزاز ولا تأخـذها بشىء من الضيق • بعد ذلك نأتى الى المسألة الأخرى ، وهى أن الاسلام مثلا يحدها ببعض الأشياء ••

الاستاذ احمد فراج :

قبل هذه ربما فضيلتك أثرت نقطة هامة فى الواقع هى أن الرجل يكدح ، ومهمته هى للجـــلاد ومكابدة مشقات الحياة ، حتى فى التصوير القرآنى « فلا يخرجنكما من الجنة •• فتشقىَ » أى أنت يا آدم ، فكأنه جعل الشقاء وقفا على الرجل ، حسن •• ماذا لو رغبت المرأة فى أن تخفف عن الرجل بعض هـــذا الشقاء ألا يكون هذا محمدة لها ، وشيئا تشـــــكر عليه ، فهى تقوم بواجبها باعتبارها سكنا ، وتؤدى رسالة المودة والرحمة التى أشرت اليها فضيلتكمن خلال الآية ، فاذا جاءت المرأة وقالت « انه الى جانب هذه المهمة » ـــ ولو أن هذه قضية قد يختلف عليها وأنا أقول ذلك مقدما ـــ « فأنا سأعمل كى أخفف عنه هذا الشقاء » فما رأى فضيلتك فى ذلك ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

~~هى جعلته أيضا فى شقائه ، ثم هى شقيت أيضا ،~~ فهى لم تخفف عنه •• فهو لم يأخذ نصف عمـــل فى الخارج ، بل هو لايزال يعمل ••

الاستاذ احمد فراج :

لو سمحت وضح لنا ذلك بعض الشىء •

فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

حضرتك بتقول انها بتعمل لتخفف عنه الشقاء أى عنه هو ،ولكنه يعمل ، فكيف ستخفف عنه جزء من هذا التعب ، هو لايزال بتعبه لانه لا يعمل نصف العمل خارج البيت ، ولكنها هى تعمل لتزيد الدخل ويرتفع مستوى الحياة • وهنا أريد أن أقول ، انه ليس المفروض فى الانسان المربوط بقيم دينية وسماوية ، أنه ينشد مستوى الحياة أولا ، وبعد ذلك يحمل الدخول عليها ، لا •• المفروض أننى أعمل وبعد ذلك أحدد مستوى حياتى على قدر ذلك الدخل الذى اجتهدت فى بذل جهدى للوصول اليه ، فلا أفرض أنا مستوى من المستويات ، وبعد ذلك أقول أنا أرغبه ، لا •

فالواجب الأول : أن ينظر الانسان الى عمله ويعرف المقدار الذى سيدره عليه من دخل ، وعليه

أن يجتهد كما شاء ، وبعد ذلك يحدد مستوى حياته فى حدود مستوى ذلك الدخل ، أما اذا حدد المستوى الذى يريد أن يعيش فيه ولم يستطع الدخل أن ينهض بالمستويات ، فقد يتجه الى عمل الأشياء الأخرى ، قد ينحرف ، قد يرتشى من أجل أن يواجه ذلك المستوى . وهنا نقولله . لا ، المستوى لا يحدد الا بعد أن تعرف أنت ماطاقتك فى العمل ، وبالتالى تعرف مقدار دخلك ، وعليه فمستوى حياتك يحدد على هذا الدخل ، فان أرادت المرأة أن ترفع مستوى حياتها بما لايخرجها عنمهمتها كزوجة ، وعن واجبها كأم تحضن أطفالها ، ولا يبعدها عن هذا الميدان ، فيصح أنها تعمل ، لكن فى اطار .

الاستاذ احمد فراج :

قبل الاطار أيضا يا فضيلة الشيخ ، أريد أن أقول لفضيلتك انه فى كثير من البلاد العربية والاسلامية، لا يكون سهلا على الرجل ان يحدد المستوى طبقا للدخل المبنى على الطاقة والجهد ، لأن الدخل أصلا غير متناسب مع الطاقة المبذولة ذاتها ، فربما يعمل

الرجل عملا شاقا لكن لا يدخل اليه العائد الــــذى يتناسب مع جهده ، أو الذى يكون قادرا به عـلى مواجهة الحياة وأعبائها .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

هذا فساد فى النظام الذى يحدث .

الاستاذ احمد فراج :

هذه قضية أخرى ، لكننى أتنـاول هذه القضية من زاوية آثارها على دفع المرأة ، أو اندفاع المرأة حرصا منها على أن تعمل ، فهل نفهم من كــــلام فضيلتك أن الاسلام يمنعها أن تعمل عندئذ ؟

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

الاسلام لا يمنع : ولكن الاسلام واقعى ، بحيث أن الذى خلق الانسان وخلق الظروف ، يعــرف أن هناك ظروفا قد تضطر المرأة الى أن تعمل ، لــكن الاسلام يعرضها فى حدود الضرورة ، وفى اطارها . هذا الاطار وضحته لنا قصة سيدنا موسى ، لمــا

ورد ماء مدين « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان » .. تذودان أى تمنعان ما ترعيان عن الماء ، اذن لاى شىء خرجتا ؟ مع أن هذا مكان ورود الماء ، ومادامتا تمنعان ماترعيان عن السقى ، فلماذا خرجتا ؟ « قال ما خطبكما .. قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء » .. لا نسقى حتى يصدر الرعاء معناه ، ان الفتاتين وقفتا بعيدا ، حتى ينتهى الرجال من سقى ماشيتهم ، وبعد ذلك يخلو البئر أو العين فيصلان الى هناك ، اذا الفتاتان أخذتا الضرورة بالقدر ، وليس معنى ان ضرورة أخرجتهما ، أنهما يتناسيان نوعهما ، فلابد أن يفهما أنهما لا يصح أن يحتكا بالنوع الآخر فظلتا فى مكانهما الى أن ينتهى الرجال ، ثم عللتا سبب الخروج بأن هناك حاجة دفعت الى ذلك « لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ».(١) فكأن « أبونا شيخ كبير » تبرير

---

(١) آية ٢٣ من سورة القصص

لخروجهما لهذا العمل ، فكأن أحدا قال لهم مادمتما خائفتين من الزحام أو التزاحم مع الرجال ، فما الذى أخرجكما من بيتكما ؟ فقالتا .. « أبونا شيخ كبير » اذا فالآية تحدد أن ضرورة قد تلجىء المرأة الى ان تخرج الى الخارج ولكن حين تخرج لا تنسى نوعيتها ، فلا تنسى أنها امرأة ولا يصح أنها تدخل فى زحام الرجال . وبعد ذلك جاءت لقطة أخرى ، وهى مهمة الرجل حينما يرى ذلك ، أو مهمة المجتمع ممثلا فى الرجل هنا .. « فسقى لهما » . ومعنى سقى لهما أنه أعانهما على أداء مهمتهما حتى يسرعا بالرجوع الى البيت ، تلك مهمة المجتمع ، حتى لو كان فردا شهما يرى المرأة مثلا وقد اضطرتها ظروفها أن تخرج لعمل من الاعمال ، فشهامة الرجل تقتضيه أن يؤدى عنها هذه المهمة لتنتهى ، ولا يجعلها تضطر الى أن تزدحم مع الناس فى الحياة « فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير »[1] . هذه اللقطة من القصة تدلنا

---

(١) آية ٢٤ من سورة القصص

على أن القرآن عرض هذه العرضة ، ليدلنا على أن المرأة قد تضطرها ظروفها الى أن تخــرج ، ولكن ظروفها التى اضــــطرتها الى أن تخــرج ، يجب ألا تخرجها عن نوعيتها بحيث تحتسب نفسها رجلا ، بل تأخذها بقدرها ما أمكن الى أن ينتهى الرجــال من السقى كما فى القصة وتؤدى مهمتها ، وبعــــد ذلك جاءت بالعلة « وأبونا شيخ كبير » وبعد ذلك جاءت بالمجتمع ، سواء كان مجتمعا قريبا أو بعيدا مجتمع أسرة أو فرد ، فأنا مثلا حين أكون فى أسرة وأجد أن المرأة خرجت لتعمــــل ، فان كانت لدى الشهامة وأنا أعتبر أن هــذه من لحمى ومن دمى ، فأنا أغار علي هذا ، وأرى أى مصلحة لها تمنعهــا من الخروج ، فاذا لم تجد ، فلا مانع من أن تذهب ولكن على أن تأخــذ الضرورة بقدرها ، وألا تتزيد فيها ، وهنا فانها ساعة أن تخرج ، فصحيح منعت من الازدحام ، لكن فى خروجها يلزمنا الشارع بشىء آخر ، هذا الشىء الآخر هو أنها تكون على هيئــة غير مثيرة •

الاستاذ احمد فراج :

هنا نأتى لقضية الحدود أو القيود المفروضة عليها وعلى حريتها كما يرى ذلك بعض الاخوات .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

القيود التى على حريتها نقول فيها ، انالتشريعات دائما حين تنظر اليها لا تتعرض لعملية الادراك ، ولا تتعرض لعملية الوجدان ، وانما تتعرض لعملية واحدة هى عملية النزوع ، بمعنى أن علماء النفس حينما قسموا مثلا مظاهر الشعور قسموها الى ثلاثة أقسام ، قالوا ان الانسان يرى وردة جميلة فى البستان ، فان رؤيته لها تعتبر ادراكا ، أدرك منها الجميل ، فأعجبه ذلك وأحبه ، فيكون هذا وجدانا وجد فى نفسه شيئا أثر فى ذلك الادراك ، فنجده يهم ويذهب ليقطف تلك الوردة ، فهذا نزوع ــ عملية نزوعية ، اذا فكأن لمجال الشعور ثلاثة أشياء ، الشىء الاول يدرك ، ثم يجد ، ثم ينزعبمعنى يتحرك التشريع يأتى ويقول له أنت قد رأيت الوردة ولم

تمنعك من رؤيتها ، أعجبتك ووجـــدت فى وجدانك
شيئا من السرور فلم نمنعك من ذلك ، انما ســـاعة
أن تأتى كى تقطفها سيتدخل التشريع ويمنعـــك من
قطفها ، ويقول لك هذه ليست ملكا لك ، اذا فكـــأن
التشريع انما يتعرض لحالات النزوع ولا يتعــرض
لحالة الادراك .. وحالة الوجدان ، لماذا ؟ لان هذه
مسائل لا يقنن لها الا فى مسألة واحدة ، فيما يتعلق
برؤية الرجل للمرأة . لماذا ؟ قالوا .. لأنه ليس من
الممكن أن أفصل عملية الوجدان عن الـــــنزوع ،
انسان رأى امرأة جميلة ، وتقاسيمها بديعة ، وشكلها
مثير ومغرى ، هو رأى ، اذن أدرك واســـتقر فى
نفسه اعجاب ، هذا الاعجاب كأنه محرك داخلى عمل
فى نفسه عملية نزوعية ، ولايمكن أن نفصل العمليه
الوجدانية عن النزوعية ، كما نفصلها فى الوردة ،
فنجد الاسلام يقول أنا أريد أن أمنع عملية الادراك
هذه من أساسها ، لأنى ســــأتعبك ، فلو أبحت لك
الادراك ، ثم حرمت عليك النزوع ، فستعيش فى قلق
وفى تعب ، فلأن . الله هو المشرع ، ورحيم . وعارف

بالنفوس ، قال .. أنا أريد أن أمنع هذا الادراك ، فلا تتعب نفسك ، لماذا ؟ لانها لو آثارتك وأعجبتك ماذا يكون الموقف ؟ الموقف يعلمه الله ونعلمه جميعا من واقع الحياة ، وأظن شوقى رحمه الله عليه قال « نظرة فابتسامة ، فسلام فكلام فموعد فلقاء

الى آخره . لكن التشريع قال ، أنا لن أبيح لك الادارك حتى لايكون عندك وجدان مثار ، لانك لا تستطيع أن تفصل بين الوجدان والنزوع ، فقال التشريع : « يدنين عليهن من جلابيبهن » (١) وقال له .. غض من طرفك ، لأنك ستتعب نفسك وتتعبها ، اما أن تؤدى العملية النزوعية ، فتريح ، فتنتهك ، واما ألا تؤديها ، فتقلق وتعيش فى اضطراب . وأيضا أنت يا امرأة أريد أن أؤمن حياتك ، بهذا التشريع الاسلامى تؤمن حياة المرأة ، لماذا ؟ لأن الانسان المتزوج من زوجة مكثا معا مدة طويلة ، وهما الآن فى سن الاربعين والخمسين فان المرأة تعرضت لعمليات الخدمة ، وعمليات الولادة ولعمليات الرضاعة ولعمليات

---

(١) آية رقم ٥٩ من سورة الاحزاب

التربية ولعامل الزمن فى شكلها وفى نضارتها ، وكل هذا أثر فى تكوينها ، فاذا كان الرجل الذى فى سن بين الاربعين والخمسين يذهب الى الشارع فيجد فتاة فى مقتبل عمرها ، على أحسن ما تكون من الزينة وأنضر ماتكون من الشباب ،فماذا يكون موقفه بالنسبة لها حينما يراها ؟ ستجلب غرائزه ، فبعد أن كانت غرائزه .. غرائز طبيعية وهو مع أهله ، تثور كل فترة وتهدأ بانتظام ، فانه حين يرى منظرا كذلك الـــذى نذكره ومن شأنه أن يجلب غرائزه ويلهبها ، فماذا ستكون النتيجة المحتملة ؟ ساعة أن يذهب الى البيت ويجد زوجته مجعدة الشعر مثلا ومتعبة فانه قد يبدأ بعمل مقارنة ، وفساد أغلب البيوت من هذه المسألة ، فيبدأ ينظر الى منظر لا يحب أن يراه ، لانه رأى منظرا آخر ، والفتاة الجميلة التى فى الحـــالة الاولى ستصل الى مثل هذا السن يوما ما ، فهـــو يقول لها ، لا تتبرجى حتى لا تلهبى غرائز الناس ، وتفسديهم على بيوتهم ، لانك عندما ستكونين فى هذا السن فلن تأتى فتاة أخرى ينتظر خلقها لتفســـد

رجلك وبيتك عليك ، لان هذه الفتاة ستتعرض امـا لشاب لا زال فى مقتبل حياته ، وهو لا يزال يتعلم ولم يستقر بعد ، ولايزال عالة على أهله ، وهـو لا تنقصه يقظة غرائزه زيادة عما هى فيه ، وامـا لانسان له حياة رتيبة ، وله أهل فتأتى هذه الفتـاة له . فكأن الاسلام أمن حياتها أيضا ، لأن عمـر زمانها هذا عشرة أو خمس عشرة سنة ، وبعد ذلك تصير امرأة عادية ، تفسدبيتك ، وتفسد ولدك وتفسد زوجك عليك فتاة لاتزال فى مقتبل العمر .

فالاسلام كي يرحم المرأة ويؤمن حياتها ، ويجعلها وقورة ومحترمة ، منعها من أن تفعل فى النـاس هذا ، حتى لا يفعل أحد معها ذلك .

اذا فالاسلام حينما جاء ليحدد الادراك فالمسألة الوحيدة التى حدد فيها الادراك فى مجال الشعور ، هى مسألة النظر الى المرآة ، لان العملية الوجدانية التى سينشأ منها النزوع لايمكن فصلها ولا يمكن فصل ذلك الا بتعب نفسى وبقلق وضيق ، وبعد ذلك تفسد البيوت ويأخذ فساد البيوت ألوانا شتى من

المعاذير غير الاساس الاصـــــيل ، ونعانى من أسر تجتمع وتعالج المسائل ، والسبب الاصيل موجود فى مثل هذه الاشياء . فحين يحجر الاسلام على المرأة انها لا تتبذل أو لا تتبرج أو أنها لا تبدى زينتهـا الا لكذا وكذا فالاسلام يريد أن يكرم المـرأة وهو يريد أن يجعلها فى مكانها الطبيعى من المجتمع ، زوجا تمثل السكن ، وأما تمثل الحضـــانة لا شرف جنس فى الوجود [1] بمقدار ما حرص على أن يأمر الرجال بغض البصر وحفظ الفرج .

الاستاذ احمد فراج :

بعد أن وضح فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى رأيه ووجهة نظره فى هذه الامور ، هل

---

(١) الامر فى القرآن الكريم للجنسين معا وتكليف لهما « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـــارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منهـــا » (الآية ٢٠ — ٢١ من سورة النور) .

نتلمس فى نصيحة أم اياس لابنتها بعض المعانى التى تعرضتم لها •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

نعم نصيحة امرأة لامرأة ، تعطى لها مقوماتها كزوجة هذه امرأة ، ولو حضرتك جمعت كل المشتغلين بهذه المسائل من الرجال ؛ كى يضعوا دلالة هذه البنود التى وضعتها أم اياس لوجدتها تعطى لك فكرة على أنها امرأة عاشت فى منهجها الحقيقى ، هذه المرأة التى عاشت فى منهجها الحقيقى أرادت أن تنقل المنهج الحقيقى الذى عاشته الى ابنتها لتسعدها فماذا قالت لها أمها ؟ أولا كانت الفتاة جميلة جدا ، وبلغ الحارث بن عمر ملك كنده جمالها ، فأراد أن يتزوجها ، فأرسل خاطبه ، فمدحت الفتاة له مدحا كبيرا جدا ورغبته فيها ، فذهب ليتزوجها ، فلما تزوجها ، وجاءت لتحمل اليه قالت لها أمها « •• أى بنيه ، ان النصيحة لو تركت لفضل أدب ، لتركت لذلك منك » أى أنك مؤدبة ، ولست فى حاجة الى نصيحة » ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى

أهلها لكنت أغنى الناس ، ولكن الرجال للنساء خلقن ، ولهن خلق الرجـــال ، يا ابنتي احفظى عنى عشرة خصال تكون لك ذخرا •

أما الاولى والثانية فالمعاشرة له بالرضى والقناعة وحسن السمع والطاعة •

وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضــــــع أنفه ، وموقع عينه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح •

وأما الخامسة والسادسة فالهدوء عند منـــامه ، والتفقد لوقت طعامه ، فان حرارة الجوع ملهبـــــة وتنغيص النوم مغضبة •

واما السابعة والثامنة فالاحتفاظ بماله ، والارعاء على حشمه وعياله •

وأما التاسعة والعاشرة فأياك أن تعصى له أمرا أو تفشى له سرا ، فانك ان عصيت أمره ، أو غرت صدره ، وان افشيت سره ، لم تأمنى غدره ، وأعدك بعد ذلك من الفرح ان كان ترح أو من الترح ان كان فرح •

فهـــرست

مطابع مؤسسة روز اليوسف

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٩٧ / ١٩٧٥